دراسات فى أدب مصر الفاطمية

١

عيد الغدير في عهد الفاطميين

تأليف

محمد هادي الاميني

...ة القضاء - في النجف

في أدب مصر الفاطمية

عيد الغدير

في عهد الفاطميين

تأليف

محمد هادي الاميني

قامت الدولة الفاطمية بعد دعوة سرية بذلت جهوداً واسعة لفترة تجاوزت ثلاثة أرباع القرن ، وكانت دعوة شاملة تناولت الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية فى نسيج محبوك وحاولت أن تجمع الى صفوفها كافة القوي المعارضة للاوضاع القائمة أو المتذمرة منها .

وقد نشطت هذه الدعوة في المناطق الممتدة بين ايران شرقاً والمغرب غرباً ، وبين سورية شمالا واليمن جنوباً ، فشملت شعوباً وجماعات مختلفة منادية بالمساواة بين الشعوب وداعية الى العدالة الاجتماعية ومتخذة من حق آل البيت صيغتها السياسية . وكان من مظاهر نشاطها انها اتخذت في البلاد المختلفة أساليب مختلفة، كما تباينت فى وجهتها بين الميل للغلو والميل للاعتدال . ويكفي أن نشير الى القرامطة في العراق وبادية الشام والى قرامطة البحرين والى الاسماعيلية فى ايران واليمن واجزاء أخرى والى الفاطميين لترى، تباين الصورة الفعلية لانجازات هذه الدعوة .

ففي الوقت الذي اتبع قرامطة البحرين سياسة إشراف الدولة على النواحي الاقتصادية واتخذوا تدابير اشتراكية معتدلة ، ذهب قرامطة العراق الى تدابير ممعنة فى هذا الاتجاه بينما اكتفى الفاطميون بوجهة اصلاحية معتدلة .

ومع أن الدعوة كانت واسعة ونشيطة إلا أنها قاست من الانقسامات ، واقوى مثل على ذلك الحرب الضروس التي وقعت بين قرامطة

البحرين وبين الفاطميين في فترة توسعهم الى مصر .

* * * *

ومما يسترعي الانتباه ان الدعوة الاسماعيلية لم تثر الا في البلاد العربية . وذلك باستثناء بسيط وهو قيام إمارة حسن الصباح في ألموت فكان نجاح الدعوة في البحرين واليمن وافريقية ومصر ، وكان لها كيان موقت في جنوب العراق وفي بادية الشام ، وهي بلاد كانت تشكو من أوضاع اقتصادية وسياسيه قلقة . كما أن الدول التي أقامتها الدعوة تمثل على العموم الوجهة المعتدلة لها ، وخاصة إذا قورنت بالركائز التي تكونت في ايران ، وهذه ناحية لها دلالتها في فهم الدعوة وفي فهم بعض جوانب التاريخ العربي .

وكان قيام الدولة الفاطمية أهم نتائج الدعوة الاسماعيلية وأبعدها أثراً في التاريخ العربي ، ولم يكن تغلبها على مصر نتيجة التغلب العسكرى وحده بل سبق ذلك نشاط قوي للدعاة الفاطميين وساعد عليه الوضع الاقتصادي المرتبك في مصر . وكان طبيعياً بعد ذلك أن تعنى الدولة الفاطمية بهذه الناحية على وجه الخصوص .

وقد نقلت الدولة الفاطمية مقرها الى مصر لاهمية موقعها في العالم الاسلامي ولامكانياتها الضخمة ، وانشأت لها عاصمة جديدة تعبر عن كيانها وعن اتجاهاتها . ومن هناك نظمت دعوة فاطمية كانت آمالها ومحاولاتها التوسعية تتجه الى الشرق دائماً وكان هدفها الأول أراضي الخلافة العباسية .

ونحن نعرف أن العباسيين جاءوا الى الحكم أثر دعوة سرية محكمة استمرت ثلث قرن ، وان هذه الدعوة لم تنقطع بقيام الدولة العباسية ، إلا أنها لم تستطع متابعة الأسس الفكرية والاجتماعية التي نادت بها ، كما واصيبت بأزمة حادة بعد تسلط الأتراك على الخلافة وبصورة أشد بعد الغزو البويهي . أما الدولة الفاطمية فانها رأت في دعوتها مصدر استمرارها وتوسعها بل وسبب بقائها فبذلت كل جهد في تنظيمها وتوسيعها وانشأت لها الحلقات وأسست لها مدرسة قوية هي الأزهر لتكون محل تهيئة واشعاع . كما انها حاولت أن تطبع حياتها العامة ومراسيمها بطابع الدعوة ، ويتمثل هذا بصورة جلية في مراسيمها واعيادها خاصة .

وقد أراد الفاطميون أن يكثروا من الأعياد وأن يجعلوها تنطوي على مفاهيم تتصل بصميم الدعوة ليتخذوا منها سبيلا للتأثير على تفكير الناس وليظهروا منها عظمة دولتهم . ويبدو أن الأعياد فسرت تفسيراً تأويليا في الدعوة لتأخذ محلها في نطاق الفكر الاسماعيلي .

* * * *

وقد كان لعيد الغدير المنزلة الأولى بين هذه الأعياد ، ووضعوا له معنى تأويلياً يختلف عن المعنى المعروف لدى الامامية ، وهو معنى يتصل بأساس مفهوم الامامة لدى الاسماعيلية .

ويظهر أنه كان لدى الاسماعيلية دعاء خاص بيوم عيد الغدير ، وخطبة خاصة تلقى في ذلك اليوم كما وضع بعض الشعراء قصائد توضح

المعنى التأويلي وصلنا منها مثلا القصيدة الغديرية لأبي عبد الله الخصيبي .
وقد أسهب أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني النصيري في كتابه (مجموع الأعياد) في توضيح معنى الغدير وأهميته واعتبره العيد الأول بين الأعياد وواضح أن الكتاب المذكور من نتاج الفكر الاسماعيلي خارج مصر في القرن الرابع الهجري ويتسم بطابع السرية .

(باعتناء شتروطمان همبورغ ١٩٤٣ ـ ٦ ص ٥١ ـ ٨٤) .

وهذا يبرر تركيز الأخ الفاضل الشيخ محمد الهادي الأميني على عيد الغدير لدى الفاطميين . ولا أراني بحاجة لتحليل مابذله من جهد وما توصل اليه في دراسته ، فهذا واضح فى ثنايا الكتاب . ونحن نرحب بدراسة تاريخ الفاطميين وخاصة الجانب الحضاري منه لأنه لازال ينتظر الدراسات الواسعة والجهد الكبير .

عبد العزيز الدوري

رئيس دائرة التاريخ ـ جامعة بغداد

تمہید

بحيث مصر زهاء قرنين ونصف بعد فتح جيش الأسلام لها ولاية خلافية ومهبطا للثورات السياسية والنزعات الدينية والطائفية ، تتوارثها الخلافة أينما حلت وكيفما أصابت واستقرت غير أن مصر مع هذا كله منذ الفتح الاسلامي كانت تتبوأ مركزاً ممتازاً ومكانة مرموقة لموقعها الجغرافي ، وأهميتها العمرانية ولتربتها الخصبة فى حقل الحضارة من بين الولايات الخلافية الاخرى ، كالشام وسوريا والعراق ولهذا نجدها منذ التأسيس كانت مطمع الزعماء المتغلبين ذلك انهم كانوا يرون فيها ضالتهم المنشودة تتحقق على صعيدها أهدافهم وأغراضهم السياسية والاجتماعية وغيرها حتى اصبحت ملاذاً منيعاً لحركاتهم الاستقلالية ، فمن أجل هذا كنت تراها دائماً مهبط احتدام ، وميدان صراع ، ورحى خلافات بين الولايات والطامعين سيما بعد ان ضعف امر العباسيين فيها حيث غدت منذ الساعة طعمة سائغة لنفر من الحكام الأقوياء والأمراء الأشداء ، يحكمونها باسم الخلافة الاسلامية ويتناول بعضهم بعضا بعنوان الغلبة والحكم والقهر وينشئون بها دولة مستقلة لاتكاد تربطها بالخلافة والامارة رابطة من روابط سياسية اوادارية ، ومع ذلك كله فقد كانوا يحرصون على أن يستظلوا تحت لواء الخلافة والامامة وسلطانها الديني المهيمن على الشعب المصري مع وجود تلك النزعات والخلافات الداخلية القائمة على قدم وساق فيها ، ولم تكن مصر لتمتعها بمركزها المرموق بين ولايات الخلافة وموقعها الجغرافى الصعب لان تكون قبلة مختارة وميداناً ممهداً لذوي الطموح والمتغلبين من الحكومات ، ولا أن القضاة كانوا يسعون الى اتحاد

بوكان الثورات دائماً والمطالبة باستقلالها ، ولـكن كل ذلك كان طارئا عرضيا عليها ساقته اليها الحوادث والمؤثرات الخارجية الوقتية وحـــدها فقسمت شعبها الى قبائل يحكمها رئيس مستقل ، ولقد اثار هؤلاء الرؤساء حروبا مستمرة على المصريين ، وفي الواقع ان مصر في ذلك العهد رأت من المظالم والويلات وذاقت مرارتها مالم ترها فى أي عصر من عصورها التاريخية السالفة أبداً ولا سيما فيما يختص بالاضطهادات الملازمة لطموح هؤلاء الولاة وقسوتهم والحـكومات الخارجية النازحة عليها ومطامعهم وبسط سلطانهم على ربوعها وهكـذا كانت سنة الأقوياء منذ القدم ليومنا هذا حيث أن التغلب أحد مقومات الحياة الحكومية ، وحالة ملازمة لمزاج الحـكومات مطلقاً ولا يمكن لقوي أن يتخلف عن الانجراف في تيارها .

لم تخف هاتيك المميزات الخاصة لمصر على الفاطميين ولم تلتبس هذه الحقيقة عليهم منذ قيام عبيد الله المهدى مؤسس دولة العبيد وباني مجدها بتنفيذ دعوته فى افريقية عام ٢٩٦هـ بل كان هو وشيعته أمل بأن يشيدوا بمصر دولتهم الأولى ، وان يقضوا منها ملوك الاغالبة ، لذلك رأوا من الضروري أن يوالوا جهودهم السامية . والحربية لتحقيق امنيتهم الكبرى هـــذه بل أمنية الفاطميين جميعا فى الاتجاه نحو المشرق ومن ثم توجيه ضرباتهم القاضية للدولة العباسية وتكوين دولة شيعية فاطمية ترأس العالم الاسلامي (١) هذا هو الحلم الجميل والامنية الكبرى التي كانت تستهوي

(١) المعز لدين الله تأليف حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف ص ٦٨ .

العلم والأدب ولهذا كان يسميه بعضهم فى عهده ـ ذو البلاغتين (١)
وهو مصري المحتد والنشأة ، ووصفه ابن ميسر بقوله : كان من أماثل
المصريين وكتابهم مقدما عند ملوكهم ، ومن الأسف انه لم يصلنا شيء عن
حياة هذا الكاتب الشاعر ، فقد فقدت ترجمة حياته مع بقية تراجم رجال
مصر الفاطمية ، والمعروف عنه انه كان يلتقي بعض زملائه فى المهالك
ويكون سبباً فى حتفهم بالرغم مما قاله اصحاب المعاجم عن فضله وكفايته
فى صناعتي الشعر والنثر ، ووصفهم له بضعف الخلق يحسد زملائه ويوقع
بهم فى الردى والمهاوي بطرق شتى ،فمنهم أبو علي حسن بن زيد الأنصاري
الذي غالى المؤرخون في مدحه انه : فى فنه لم يسمع الدهر بمثله ، فعمل
ابن قادوس المترجم بيتين في هجاء حسن بن الحافظ ونسبها إلى إبن زيد

الأنصاري ودسها في رقاعة ثم سعى به الى ابن الحافظ فلما وجد الحافظ
البيتين بين رقاع الأنصاري أمر بقتله ، ولم يشفع له جودة شعره
التى بلغ بها درجةرفيعة بين الشعراء ولاطول خدمته في ديوان
المكاتبات (٢)وذهبضحية البيتين .

وبعد هذا لم يحدثنا التاريخ عن سبب ما فى قتل الأنصاري غير
مآربه الشخصية فى الديوان اوفى غير الديوان من مناصب الدولة ، وربما
كان السبب فى تلك المؤامرة هو ان الانصاري كان فنانا يجيد صناعته

(١) حسن المحاضرة ١ ص ٣٢٤ .
(٢) في ادب مصر الفاطمية — ١٨٧ .

فينتقي من اللفظ أجوده ومن المعاني اسماها واجلها ، فحسده على مهارته وخشى منافسته فدبر المكيدة التى أدت به الى حتفه ، كما ذهب الى صحة هذا القول بعض المؤرخين (١).

ومهما يكن من شيء فابن قادوس لضعف خلقه كان يحسد كل شاعر وكاتب في الدولة ، يتشبث بمدة وسائل لهتكهم وقتلهم واختلاق ابيات تأدي الى قتل زملائه، فقد نقل الحموي (٢) مايؤيد الرأي هذا فى حكاية نصها إجتمع ليلة عند صالح بن رزيك جماعة من الفضلاء فالقى عليهم مسألة فى اللغه فلم يجب عنها بالصواب سوى القاضي الرشيد ـ ابو الحسن أحمد بن الزبير المصري المقتول عام ٥٦٣ ـ فقال: ماسئلت قط عن مسالة الاوجدتنى اتوقد فيها ، فقال ابن قادوس وكان حاضرا :

إن قلت من نار خلقت ... وفقت كل الناس فهما
قلنا : صدقت فما الذي ... أطفاك حتى صرت فحما (٣)

وجاء أيضا في إنتصار ابن قادوس للجليس بن الحباب أن أبا القاسم هبة الله بن البدر المعروف بابن الصياد ، كان مولعاً بهجاء القاضي الجليس كثير التهكم والدعابة بأنفه الكبير ، حتى قيل أن الصياد أنشد أكثر من ألف قصيدة في أنف الجليس ، فأنبرى له إبن قادوس ينتصر للجليس ويهجو ابن الصياد بقوله :

---

(١) نفس المصدر ص ٣٣٩ ، ٣٤٤ .

(٢) معجم الادباء ٤ ص ٦٠ .

(٣) خريدة القصر قسم شعراء مصر ا ص ٢٢٩ .

يامن يعيب انوفنا الشـ   م التي ليست تعاب

الأنف خلقة ربنـــا   وقرونك الشم اكتساب

فما الذي جعل ابن قادوس ينتصر للجليس ، لاشك فى ان ضعف خلقه جعله يتوهم ان الجليس ربما ساعده فى الوصول الى مآربه الشخصية فى الديوان وفى غير الديوان من مناصب الدوله بحكم تلك الصلة التي كانت بين الجليس والخليفة الفاطمى من ناحية ، وبين الجليس والملك الصالح طلايع من ناحية اخرى فلذلك انتصر للجليس ولولا اطماعه ماكان ينشد هذين البيتين .

فابن قادوس مع هذا كله كان من أماثل الكتاب فى القرن السادس الهجري فالقصائد التى مدح بها الخلفاء الفاطمية وأنشدها فى حفلاتهم وأعيادهم ، والرسائل التي كتبها فى مناسبات عدة إن دلت على شيء فانما تدل على مقدرته وعلو كعبه فى الصناعتين الشعر والنثر .

وله :

خبت منها أرى النار الـــتى سجدت

لها المجوس ، من الابريق تسجد لي

راح إذا سفك الندمان من دمهـــا

ظلت تنفهقه فى الكاسات من جذلي

تقل لمن لام فيها إننى كلـــف

مغرى بما مثلما اغريت بالعذل (١)

---

(١) خريدة القصر قسم شعراء مصر اص ٢٢٨ .

ومن شعره قوله :

هي بيعة الرضوان أبرمها التقى وأنارها النّص الجلي وأحكما
ما اضطر جدّك في ابيك وصية وهو ابن عم ان يكون له انتمى
وكذا الحسين وعن أخيه جازها وله البنون بغير خلف منهما (١)

وله في مدح الوزير المأمون البطائحي وزير الآمر باحكام الله عندما مثل بين يديه :

قالوا أتاه النعت وهو السيد المأمون حقا والأجل الاشرف
ومغيث أمة أحمد ومجيرها مازادنا شيئا على ما نعرف

اما مدحه للخليفة الفاطمي فيتجلى لنا ذلك في نثره فمن إنشاءه ماكتبه بمناسبة ركوب الخليفة العاضد الفاطمي في عيد النحر وهو قوله :

ـ أما بعد فالحمد لله ماحي دنس الاثام بالحج الى بيته الحرام ، وموجب الفوز في المعاد لمن عمل بمراشد أئمة الهدى الكرام ، ومضاعف الثواب لمن اجتهد فيما امر الله به من التلبية والاحرام ، ومخول الغفران لمن كان بفرائض الحج ونوافل شديد الولوع والغرام ، وصلى الله على جدنا محمد الذي لبي واحرم وبين ما احل الله وحرم ، وعلى اخيه ابينا امير المؤمنين على بن ابي طالب الذي ضرب وكبر ، وحقر من طغى وتجبر ، وعلى الأئمة من ذريتهما اعلام الدين ، وحتوف المعتدين وسلم وكرم وشرف وعظم ، وإن من الايام التي كملت محاسنها وتمت وكثرت فضائلها وجمت ووجب تخليد عز صفاتها وتعين تسطير تأثيراتها يوم عيد النحر من سنة ـ كذا ـ

(١) مناقب ابن شهرا شوب .

وكان من قصصه أن الفجر لما سل حسامه ، وابدى الصباح ابتسامه
نهض عبيد الدولة في جموع الأولياء والانصار ، وأولى العزمة والاستبصار
ميممين القصور الزاهرة ، متبركين بافنيتها ومستملين بسعادتها ، وتألفوا
صفوفا تبهر النواظر ، ويخجل تألفها تألف زهر الروض الناظر ،
مستصحبين فنونا من الأزياء تروق ، ومستتبعين أصنافا من الأسلحة
يغض لمعها من لمع اللهب والبروق والأعلام خافقة ، والرياح بالسنة النصر على
الاخلاص لامام العصر متوافقة ، فأقاموا على تشوف لظهوره ، والتطلع
للتبرك بلامع نوره ، ولما بزغت شمس سعادته ، وجرت الامور على ايثاره
وارادته ، وبدت أنوار الامامة الجلية ، وظهرت طلعتها البهية خر الانام
سجودا بالدعاء والتمجيد والاعتراف بأنهم العبيد بنو العبيد ، واستقل
ركابه أمير المؤمنين ووزيره السيد الاجل الذي قام بنصر الله في انجاد
اولائه ، وتكفل للاسلام برفع مناره ، ونشر لوائه وناضل عن حوزة
الدين ، وجاهدو ناضل احزاب الكفار وناهد، يقوم باحكام الوزارة وتدبير
الدولة تدبير اولي الاخلاص والطهارة ، ويتبع اراء المؤمنين فيما تنفذ به
اوامره ويعمل بأحكام الصواب فيما تقتضيه موارده ومصادره ، ويحسن
السياسة والتدبير ويتوخى الاصابة في كل صغير من امور الدولة العلوية
وكبير ، ويخلص لله جل وعز ولامامه ، ويكفكف من الأعداء ببذل الجهد
في اعمال لهذمه وحسامه ، وسار امير المؤمنين والعساكر متتابعة في اثره
متوافقة على امتثال امره ، قد رفعت السنابك من العجاج سحابا ، وخيلت
جنن الجند الناظرين في البر عبابا ، والجياد المسومة تموج في اعنتها ، وتختال

في مراكبها واجلتها وتسرع فتكسب الرياح نشاطاً ، وتزيـــد المتمرض لوصفها افراطا ، وتهدى لمن يحاول مماثلتها غلوا واشتط طا ، واصوات مرتفعة بالتهليل ، واصوات الحديد تسمع بشائر النصر بترجمة الصليل ويكاد يرعب الأرض تزلزل الصهيل ، وترض سنا بكها الهضاب ، وتعدو صلابها كالكثيب المهيل « ١ » .

فهذا النموذج مما كتبه ابن قادوس من سجلات هي من خصائص مصر ، والذي يعلم أن ركوب الامام الفاطمي لصلاة عيد النحر هو من ترتيب الدولة الفاطمية ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انه كما تاثر الشعر بالعقائد الفاطمية كذلك تأثرت الكتابة بها تأثيرا يظهر فى السجلات التي تصدر في الاعياد والمواسم – كهذا السجل – اوفي تولية امام اواحدى رجال الدولة من وزراء وقضاة ودعاة ، ففى مثل هذه السجلات كان الكتاب يلمون بالعقائد ويؤولون بعض آيات القرآن الكريم بما يتفق ومذهبهم الفاطمي ، ويذكرون في كتاباتهم راي الفاطميين فى كل مناسبة وفى كل عيد فالسجلات التي صدرت فى « عيد الغدير » كانت تنصب علي ابن ابيطالب والائمة المنصوص عليهم من بعده ، وسجل مأتم عاشوراء كان فى الحسين بن علي ومالاقاه اهل البيت من اهوال ، وسجل رؤية رمضان في ذكر عقيدة الفاطميين فى هلال رمضان ، وهكذا كانت هذه السجلات حافلة بالمعتقدات الفاطمية التي لايمكن ان تصدر عن دولة غيرفاطمية المذهب(٢)

« ١ » صبح الاعشى – ٨ ص ٦ ٣٢ .

« ٢ » في ادب مصر الفاطمية — ٣١٦ .

وان القارى لهايتكم السجلات ليرى ظاهرة واضحة كل الوضوح فى كل رسائل الفاطميين منذ مادخل جوهر خليفة المعز مصر الى أن انقرضت الدولة الفاطمية ، ولعل هذه الظاهرة هي من عمل الفاطميين أنفسهم وسياستهم فقد راموا من وراء تلك الظاهرة تمييز رسائل كتاب الفاطميين عن غيرهم من كتاب الدولة الاخرى التي لم تخضع لحكم الفاطميين ، بل إن هذه توجد في رسائل أتباع مذهب الفاطميين الى اليوم أمثال تلك الظاهرة فقد دفعتهم عقيدتهم الدينية وتمذهبهم بالمذهب الفاطمي ، الى ان يبدوا رسائلهم وسجلاتهم بالحمد لله ثم الصلاة على النبي وعلى الوصى والأئمة من أهل البيت ، وكانوا يتعمدون دائماً أن يذكروا أن محمداً جدهم فكأنهم يحاولون من وراء هذا التكرار فى رسائلهم وسجلاتهم تأكيد ماحاول خصومهم نفيه من عدم وجود أية علاقة وصلة بينهم وبين النبي (ص) وأهل البيت «ع» اوكأنه رد على سجلات العباسيين في دحض نسب الفاطميين .

ومهما يكن من شىء فان هـــذه الظاهرة الدينية كانت من شعائر الفاطميين وبها كانت تعرف سجلات الفاطميين عن غيرها ، كما انهم كانوا يختمونها بالحمد والصلاة على النبي ولم يشذ كاتب من كتابهم عن الطريقة هذه .

فابن قادوس كان كثيرا ماتراه متاثرا بهذه العقائد الفاطمية وسائرا عليها فى السجلات التي كان يصدرها من ديوان الانشاء فى الأعياد والمناسبات ، وبقي عاملا فيه الى أن توفى عام ٥٥١ في سابع شهر المحرم ، وجاء أن الملك الصالح حضر من القاهره الى مصر للصلوة عليه ومشى في جنازته الى تربته عند مسجد الاقدام وهذا تاريخ أجمع عليه المؤرخون

جلهم بيد أن المقريزي فى الخطط روى قصة خالف بها المؤرخون فى هذا التاريخ وهى قصة طويلة زعم فيها ان ابا الفتح يانس الارمنى وزير الحافظ لما عظم شأنه عام ٥٢٦ وثقل على الخليفة اخذ كل منهما فى التدبير على الآخر فأعجل يانس وقبض على حاشية الخليفة ومنهم قاضي القضاة وداعى الدعاة ابو الفخر، وابو الفتح بن قادوس وقتلهما فاشتد ذلك على الحافظ وعمل على سم وزيره (١) اي انه ذهب ان ابن قادوس قتل عام ٥٢٦ وقد وهم المقريزى فى هذه القصة فان الدلائل التاريخية تكاد تجمع على ان ابن قادوس شاهد عصر الملك الصالح طلائع بن رزيك ووفد على مصر عام تسع واربعين وخمسمائة.

أضف الى ذلك ان الملك الصالح طلائع بن رزيك كان يغري ابن الصياد كما ذكرنا بأنف الجليس بن الحباب، فأنشد ابن الصياد تلك المقطعات التى ذكرنا انها كانت تربو على الف مقطوعة ولم يسكنه الا ابن قادوس، وهذا دليل سافر على ان ابن قادوس حضر عهد الملك الصالح.

ثم ان الخليفة الفاطمي أشرك ابن قادوس مع الموفق بن الخلال في ديوان الانشاء، وقد قال عمارة اليمنى: انه وجده بحضرة الصالح بن رزيك.

وأيضاً ان قصة ابن قادوس مع ابي علي حسن بن زبيد الأنصاري كانت في الخلاف بين حسن بن الحافظ وأبيه، وهذا الخلاف نشأ بعد عام ٥٢٦، ونحن نعلم أن ابنى الزبير: المهذب بن الزبير، والقاضى الرشيد بن الزبير، الأخوين الشاعرين الذين ضربا بسهم وافر في الفقه

---

(١) الخطط — ٣ — ٢٧.

واللغة والنحو والتاريخ والطب والمنطق ، لم يتقدما في الديوان إلا بعد قتل الظافر عام ٥٤٩ بل لم يكن لماذكر في الدولة قبل هذا التاريخ،وقد هجاه ابن قادوس بقوله :

ياشبة لقمان بلا حكمة وخاسرا في العلم لاراسخا
سلخت أشعار الورى كلها فصرت تدعي الاسود السالخا(١)

فمنى هذا أن الهجاء كان بعد مقتل الظافر أي بعد سنة ٥٢٦ أيضاً.

فهذه الدلائل ان دلت على شيء فانما تدل على عدم صحة قول المقريزي وصحة ماذهب اليه جل المؤرخون من أن وفاته كانت عام ٥٥٧(٢)لاعام٥٢٦ .

---

(١) خريدة القصر قسم شعراء مصرا ص ٢٢٦ .

(٢) تاريخ مصر ص ٩٧ .

سقى الحمى ومحلا كنت أعهده حياً بحور بصوب المزن اجوده
فان دنى الغيث واستسقت مرابعه ربى فدمعي بالتسكاب ينجده

إلى أن يقول :

ياراكب الغي دع عنك الضلال
فهذا الرشد (بالكوفة) الغراء مشهده

من ردت الشمس من بعد المغيب له فأدرك الفضل والأملاك تشهده
ويوم (خم) وقد قال النبي : له بين الحضور وشالت عضده يده
من كنت مولا له هذا يكون له مولا أتاني بــه أمر يؤكده
من كان يخذله فالله يخذله أوكان يعضده ، فالله يعضده
قالوا : سمعنا وفي اكبادهم حرق وكل مستمع للقول يجحده
وأظلمت بسواد الحقد أوجههم وإنه لم يزل بالكفر أسوده (١)

الشاعر

ابو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين طلائع بن رزيك بن الصالح الأرمني . ولد سنة ٤٩٥ في اسرة كانت تسكن صقع جبل عظيم يسمى — ارمينية — .

ان قصة طلائع وتوليته العرش الفاطمي غريبة جدا فقد ذكر المقريزي حكاية مفادها : انه زار الملك الصالح مشهد الامام علي بن ابيطالب

---

(١) ديوان طلائع بن رزيك. نسخة خطية في مكتبتي .

قلوب قاطبة الخلفاء الفاطميين في المغرب ولاجله فقد وجهوا أنظارهم لغزوها وامتلاكها منذ قيامهم بالدعوة وكثيرا ماحاول المهدي عبيد الله تحقيقها وتنفيذها ولكنه عجز ولم يستطع ذلك بيد انهم في الغزوات المتكررة استولوا على بعض ثغورها ونواحيها وان كانوا غالباً يرجعون بالخيبة ، فقد ارسل المهدي حملة بقيادة حباسة بن يوسف الكتامي التي نجحت في دخول الاسكندرية ولكن تكاثرت عليه جيوش العباسيين فانهزم حباسة ثم بعثوا باخرى قادها القائم بأمر الله عام ٣٠٧هـ وتتابعت غزوات الفاطميين لمصر فكانت ترد مهزومة مدحورة ومع ذلك لم تثن عزائمهم تلك اندحارات عن فتحها قط .

كيف وقد أدرك الفاطميون بثاقب رأيهم ان الدعوة لهم كانت تنجح في بلاد المشرق اكثر مما اخفقت في بلاد المغرب ، وأن تحقيق آمالهم كانت مستحيلة لو بقوا في المغرب وان من السهل عليهم أن يسيروا من مصر الى غزو بقية البلاد العربية وكذلك سائر بلاد المشرق هذا من ناحية ومن ناحية اخرى رأوا ضرورة فتح مصر لتأديب القرامطة وانقاض حكم العباسيين منها .

وان مصر بذلك كانت فريسة هينة للفاتح ولكن باسم الخلافة الاسلامية كما قلنا كان يشرف عليها جماعة من الجند والزعماء الاقوياء وهم ينظمون مواردها وقواها الدفاعية حين الخطر الدائم لتمردهم على الحروب ففي سنة احدى وثلثمائة جهز المهدي العساكر من افريقية مع ولده أبي القاسم الى فتح مصر فساروا الى برقة واستولوا عليها في ذي الحجة

رضي الله عنه في جماعة من الفقراء وامام مشهد علي رضى الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم فزار طلائع واصحابه وباتوا هنالك فرأى السيد في منامه الامام صلوات الله عليه يقول له : قد ورد عليك الليلة اربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له: طلائع بن رزيك من اكبر محبينا فقل له : اذهب فانا قد وليناك مصر فلما أصبح أمر من ينادي من فيكم اسمه طلائع بن رزيك فليقم الى السيد ابن معصوم ، فجاء طلائع الى السيد وسلم عليه فقص عليه رؤياه فرحل الى مصر وأخذ أمره في الرقى فلما قتل نصر بن عباس ، الخليفة الظافر اسماعيل استثارت نساء القصر لأخذ ثاراته بكتاب في طيه شعورهن فحشد طلائع الناس يريد النكبة بالوزير القاتل فلما قرب من القاهرة فر الرجل ودخل طلائع المدينة بطمأنينة وسلام فخلعت عليه خلايع الوزارة ولقب بالملك الصالح فارس المسلمين ، نصير الدين ، فنشر الأمن وأحسن السيرة (١) .

وبعد دخوله مصر . . . عمل بكل قواه في الدعوة للفاطمية وتقرب الى البلاط وعين واليا على — قوص — ومن ثم واليا على — اسوان — وقرر البلاط ان يدخل — الصعيد المصري — تحت ولايته ويخضع لامرته .

دخل طلائع . . . القاهرة فوضع للسيف بين من بقي من اصحاب عباس الصنهاجي وتكفل أمر الخليفة وساس الأمور وكاتب الفرنج وطلبه

---

(١) الخطط ٤ ص ٨١ - ٨٣ .

منهم نصر بن عباس وبذل اليهم أموالا الى أن تسلمه فلما وصل الى القاهرة سلمه الى نساء القصر فاقن يضربنه بالقباقيب والزرابيل أياماً وقطعن لحمه وأطعمنه اياه الى ان مات ثم صلب (١) .

لقد لعب الشعر دوراً هاماً في دعوة طلائع للأخذ بثار الخليفة ومن بعد ان اعتلى دست الحكم لانه كان مولعاً بالشعر مقربا للشعراء يفد عليه اكبر اعيان اهل الأدب مثل القاضي الجليس ، والموفق بن الخلال ، وابن قادوس ، والمهذب بن الزبير والرشيد بن الزبير وغيرهم من الذين وصفهم الفقيه عمارة بقوله: ومامن هذه الحلبة أحد إلا ويضرب في الفضائل النفسانية والرياسة الانسانية بأوفر نصيب ومازلت أحذوا على طرائقهم وأعرض جزعي في سوابقهم حتى اثبتوني في جرائدهم (٢) .

فهؤلاء الأعلام كانوا يجتمعون في مجلس المترجم له يتناشدون الشعر ويتناظرون في بعض المسائل العلمية والأدبية ويستمعون الى شعر الملك الصالح .

وفي ذلك يقول صاحب النجوم الزاهرة : وجعل له مجلسا في اكثر الليالي يحضره أهل الأدب ونظم هو شعرا ودونه ، وصار الناس يهرعون الى نقل شعره ، وربما اصلحه له شاعر كان يصحبه يقال له ابن الزبير (٣) ويظهر ان الملك الصالح كان ينشد القصيدة اوالمقطوعة ولكنه كان يعرض

---

(١) النجوم الزاهرة ٥ص ٢٩٣ .

(٢) النكت العصرية ص ٣٥ .

(٣) النجوم الزاهرة ٥ ٣١٣ .

مما ينشده على المهـذب بن الزبير ، وعلى غير المهذب ممن كان يتوسم فيهم مقدرة وكفاية على تثقيف الشعر ، إذ يحدثنا عمارة اليمنى : ودخلت اليه ليلة السادس عشر من رمضان سنة ٥٥٦ قبل أن يموت بثلاث ليال بعد قيامه من السماط ولم اكن رأيته من اول الشهر بليلة فأمر لي بذهب وقال : لاتبرح ودخل ثم خرج إلي وفي يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره عملها في تلك الساعة وهما :

نحن في غفلة ونوم وللموت عيون يقظانة لاتنام

قـد رحلنا إلى الحمام سنينا

ليت شعري متى يكون الحمام (١)

ثم قال لي : تأملها واصلحها ان كان فيها شيء . قلت مما صالحان(٢) فالملك الصالح كان يستعين بفحول الشعر في عصره لاصلاح شعره وليس في ذلك ما ينقص من قدرته في الشعر والمؤرخون يحدثوننا ان بعض فحول شعراء العرب كانوا يعرضون شعرهم على غيرهم من الشعراء فروان ابن ابي حفصة شاعر هارون الرشيد الرسمي كان يعرض شعره على ابى تمام وكان اكثر الشعراء يعرضون شعرهم على الأصمعي اوغيره من اللغويين، فاذا كان الملك الصالح طلائع ... قد استعان بالمهذب او بعمارة او بغيرهما من شعراء ذلك العصر لاصلاح شعره فان ذلك يدلنا على ان هذا الوزير كـان يعرف قيمة الشعر فلم يستبح لنفسه ان يعرض شعره على الناس قبل أن يتأكد من قوة هذا

---

(١) ديوان طلايع — قافية الميم — نسخة خطية بمكتبتي .

(٢) النكت المصرية ص ٤٩ .

الشعر وصلاحه ولكن ياقوت ذكر فى معجم الادباء في حـــديثه عن ابن الزبير : قيل ان اكثر الشعر الذي فى ديوان الصالح انما هو عمل المهذب ابن الزبير (١) ولا ادرى من اين استقى ياقوت هذا الخبر وربما اشبه عليه الأمر فظن ان ابن الزبير هو صاحب الشعر الذى في ديوان ابن الرزيك بدلا من انه كـان يثقف هذا الشعر ، وقد انتهت الينا قطعة من قصيدة لابن الزبير يتحدث فيها عن شعر الملك الصالح منها :

ولنار فطنته تريك لشعره	عـــذبا يروى غلة الظمآن
وعقود درٍّ لو تجسم لفظها	مارصعت إلا على التيجان
وتنزهت عن ان يرى افوادها	لمواضع الأقراط والآذان
من كل رائعة الجمال زهت بها	بين القصائد غرة السلطان
سيارة في الأرض لايعتاقها	فيسيرها قيد من الاوزان(٢)

ولم يكن الملك الصالح شاعرا فحسب بل كان فى الوقت نفسه يعد من عظماء علماء المذهب الجعفرى ويقول المقريزي ان له قصيدة سماها :
— الجوهرة في الرد على القدريه (٣) — وصنف كتاباً اسماه :
— الاعتماد في الرد على اهل العناد -- جمع كافة المناقشات العقائدية التي جرت له مع علماء بقية النحل والطوائف .

ديوان طلائع بن رزيك . . .

---

(١) معجم الادباء ٩ ص٤٧ .

(٢) في ادب مصر الفاطمية ص ١٩٦ .

(٣) الخطط ٤ ص ٨٢ .

لقد اجمع اصحاب السير والتاريخ ان طلائع حاز من العلوم والآداب مالم يدانه فيه أحد وانه سمع من الشعر فاكثر وكان متكلما شاعراً أديباً جيد الشعر يقع في جزئين (١) وانه كان متحمساً فى عقيدته ودعوته الى الفاطمية الى جانب سياسته الحكيمة وتطلعه فى مهام الحرب وشؤنها لذلك رأيتنى انصرفت الى جمع شعره وتهذيبه والبحث عنه فى بطون المجاميع الخطية وكتب التاريخ والأدب ردحا من الزمن ووضعت دراسة تحليلية عن الشاعر جاءت فى صورة مفصلة وفى مجلد كبير يحتوي على اكثر من الفين بيت اهمها في مدح العترة الطاهرة واغراض مختلفة اخرى، رتبته حسب القوافى والحروف.

ومن المؤسف جداً ان يتصدى لجمع شعره اديب مصري الدكتور احمد احمد بدوي . . . استاذ النقد الأدبي المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة . . فيخرج عام ١٩٥٨ كتيباً مفككا باسم — ديوان طلائع بن رزيك — يودع فيه من شعره ٥٠١ بيتاً ويضرب عن بقية شعره ونظمه فى الأئمة عرض الجدار مع عدم ذكر الأسباب التى حدت بالدكتور حذف قسم كبير من شعره وطبع جزء ضئيل منه، كما ان دراسة الدكتور لشخصية طلائع مبتورة وناقصة لم تشمل دراسته حياة الشاعر بكاملها مع مافيها من آراء ونظريات لم تتركز على أساس تاريخى ولم تبن على حجج تاريخية بل هي بعيده عنها غاية البعد، الى غير هذا من المآخذ التي شوهت ديوان طلائع وليته لم يخرجه بهذه الصورة المشوهة، ويقع فى ١١٤ صحفة بقطع الربع.

---

(١) تاريخ ابن خلكان ١ ص ٢٠٨ النجوم الزاهرة ٥ ص ٣١٠ خريدة القصر قسم شعراء مصر ١ ص ١٧٣

ومن مطبوعات مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، وقد رتبه حسب الابواب العروضية ابتداءه بباب الغزل وختمه بباب المدح واعقبه بباب ماجرى بينه وبين اسامة .

وعمل الدكتور هذا وان اعتبرناه ثمرة طيبة في الاشادة والقضايا الفاطمية بيد اننا لم نرض من سيادته تفكيكه لشعر طلائع وتمزيقه له وحذف وبتر مالا نروقه وهذا يحق خياناته تاريخية، وجناية ادبية واماتة للادب واهله

ومهما يكن من امر فعندما مات الخليفه الفاطمي الفائز اقام العاضد فى الخلافة وتولى تدبير ملكه على عادته وثقل طلائع على العاضد فدبر في قتله فلما كان عاشر شهر رجب عام ٥٥٦ عندما حضر المترجم قصر الخلافة وثب عليه باطني فضربه بسكين فى رأسه وقتل الباطني ومات الملك الصالح من الغد وحزن الناس عليه لحسن سيرته واقيم المآتم عليه بالقصر فى القاهرة ومصر (١) وفرح بذلك العاضد وقام في الوزارة بعده رزيك بن المترجم وسار على سيرة أبيه فلم يحسن ذلك ببال العاضد فكتب الى شاور بن مجير الذي وليه الصعيد فقدم مع جمع من العبيد والاوغاد وقدم القاهرة لمحاربة آل رزيك فوقع احتدام بينهما وفر رزيك ثم القي عليه وقتل واخذت الحالة تسير بهدوء نحو الاضطراب والدمار . ودفن الملك الصالح بالقاهرة ثم نقل عام ٥٥٧ ولده العادل الوزير الشاعر تابوت والده من القاهرة الى مشهد بني له في القرافة ورثاه جماعة من الشعراء .

---

(١) النجوم الزاهرة ٤ ص ٣١٤ ، ٣٤٥ .

القاضى الجليس

٥٦١

دعاه لوشك البين داع فأسمعا | وأودع جسمي سقمه حين ودعا
ولم يبق في قلبي لصبري موضعا
وقد سار طوع النأي والبعد موضعا

إلى أن يقول :

وسماه مولاهم وقد قام معلنا | ليتلو فيه كل فضل ويشفعا
فمن كشف الغماء عن وجه أحمد | وقد كربت أقرانه ان يقطعا
ومن هز باب الحصن في يوم خيبر | فزلزل أرض المشركين وزعزعا
وفي يوم بدر من أحن قليبها | جسوماً بما تدمى وهاما مقطعا
وكم حاسد أغراه بالحقد فضله | وذلك فضل مثله ليس يدعا
لوى غدره يوم (الغدير) بحقه | وأعقبه يوم البعير واتبعا
وحاربه القرآن عنه فما ارعوى | وعاتبه الاسلام فيه فما وعى(١)

الشاعر

أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين (٢) بن الحباب الأغلبي السعدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس . ولقب بأمين الدولة .

---

(١) الغدير ٤ ص ٣٨٤ .

(٢) في تاريخ ابن كثير ١٣ ص ٢٥١ — عبد العزيز ابن الحصن .

أحد الشعراء الذين كان يقتدي بهم الفقيه عمارة اليمنى فى مــدح الملك الصالح طلائع ، ويعد من مقدمي شعراء مصر وكتابهم وأدرك عصر ثلاثة من خلفاء الفاطميين — الظافر ، والفائز ، والعاضد ، — وهو الذي ارسل بقصائدالى طلائع وكان لها اثرها البالغ في نفس الملك الصالح واستدعاه من الصعيد للأخذ بثار الخليفة الظافر ، وتلقيبه بالجليس لكثرة مجالسته للخلفاء وتقربه منهم وهذا مادعى الشعراء ان يمدحوه ويلوذوا به وينشدوا مدائحهم فيه .

كان القاضى الجليس ممن اغرق نزعا في موالاة العترة الطاهرة كما ينم عنه شعره وفى ايام الفائز كان كاتباً في ديوان الانشاء مع الموفق بن الخلال وهذا مما جعله ان ينصرف من قرض الشعر ويقل انتاجا فيه وما جعـله لايهتم بالشعر اهتمام زملائه الشعراء ، وربما كانت الصلة التى بينه وبين الملك الصالح جعلته ينظم بين آونة واخرى ، فقد جاء ان الملك الصالح عند ما كان ينظم قصيدة يأمر مماليكه ومنهم القاضي الجليس بعمل قصيدة مثلها ولهذا نراه كثيرا مايمدح ابن رزيك في شعره فمنها قوله من قصيدة :

ولقد رضيت بخبر طبعك حاكما	ياخير مأمول واكرم غافر
حليت يابحر السماحة حالتى	بفواضل ومسامعي بجواهر
وبلغت في الاكرام بي فوق المنى	فغدوت ربّ مناقب ومفاخر
واتيتني من حسن رأيك منزلا	يسموا على نسر النجوم الطاير
فلذاك شكري ليس يبرح ماثلا	في منطق وممثلا فى خاطري
فاسلم مـديـد العمر محمي الذرى	من كل خطب عاير أوعابر

حتى يعد الناس ماقـــد شاهـدوا

من طول عمرك فى الغريب النادر

وقال فى قصيدة غالى فى حقه ولايحسب غلواً دونه وذكر ان الملك الصالح هو السبب فحسب في بقاء الدولة بعد الظافر ولولاه لذهبت ضحية الدمار والنهب وانه الذي دفعه الى انشاد الشعر واليه يعود الفضل في ذلك وأول القصيدة قوله :

على كل خير من وصالك مانــــع

وفي كل لحظ من جمالك شافع

إلى ان يقول :

كفيل امام العصر والصالح الذي

بعزمته أودى الشقي المقاطـــع

ولولاه كان القصر نهباً مقسماً وهتـك أستار وعمت فجايـع

ولكنه وافى من الله نجدة يجاهد عنهم دائماً ويمانـع

فقرت به عين النبي وآله وأدرك آثار وقرت مضاجع

هو الملك الوضاح والصالح الذي

له صدق عزم للمصالح جامـــع

فهمته في أن تشاد مساجد وهم سواه أن تشاد مصانع

أيا ملك الأمـــلاك لولاك ماأتت

إلينا أوابي الشعر وهي طوايع

فهـــذه الأبيات وغيرها ان دلت على شيء فانما تدل على ان

القاضي الجليس كان قليـل الانتـاج فى الشعر ولـكن الأدوار الأدبية التي مرت على مصر ولعب الشعر على مسرحها فتقدم واكتظت القاهرة بالشعراء ، حبب لنفس القاضي ذلك وأخذ يقول الشعر فى كل مناسبة اوفى كل ناد ومجلس ، فقد انشد بعض جلساء الملك الصالح بمجلسه بيتا من الاوزان التي يسميها المصريون : — الزكالش — ويسميها العراقيون : — كان وكان — :

الدار بين ضلوعي وانا غريـق في دموعي
كنى فتيلة قنديل أموت غريق وحريق

وكان عنده القاضي الجليس فنظم معناه بديها فقال :

هل عاذر ان رمت خلع عذاري في شم سالفة ولثم عذار
تتألف الأضداد فيه ولم تزل في سالف الأيام ذات نفار
وله من الزفرات لفـــح صواعق
وله من العبرات لج بحار (١)
كذبالة القنديـل قدر هلـكها
مابين ماء فى الزجاج ونار (٢)

ومهما يكن من شيء فالقاضي الجليس في تاريخ الدول الفاطمية كان يعد من كبار رجالها وقد مدحه كثير من الشعراء كما هجاه بعضهم ومنهم ابن الصياد الذي كان مولعاً بهجائه كثير التهكم بأنفه الكبير حتى قيل : ان

---

(١) في نسخة : تردى وبالعبرات سح بحار .

(٢) خريدة القصر قسم شعراء مصر ا ص ١٨٣ .

وساروا الى الاسكندرية والفيوم وضيق على أهلها فبعث اليه المقتدر بالله العباسى مونسا الخادم — وكان قائدا من كبار قادة العباسيين - في جيش كثيف فحاربهم وأجلاهم عن مصر فغادروا الى المغرب منهزمين ، (١) ولكن جاء في بعض النصوص التاريخية أن عساكر المهدي استولوا فى هذه المرة على برقة واسكندرية وحكموها ثم شعر والي مصر ان بين المصريين من يكاتب الفاطميين لغزو البلاد فتتبعهم الوالي وسجن منهم عددا كبيرا وعذب آخرين بقطع أيديهم وأرجلهم لذلك فقد اضطر الفاطميون الى اتخاذ التقية والى الدعوة السرية وقد جاء : ان المهدي نفسه دخل مصر مستترا في زي التجار وكوّن له هناك دعاة وانصارا كما كانوا يكاتبون المصريين بالنثر تارة وبالشعر اخرى وكان مونس الخادم يصادر هذه المكاتبات ويرسلها الى الخليفة العباسي المقتدر وقد حفظ لناالتاريخ صورة مقطوعة من الشعر قيل ان القائم بأمر الله أرسلها الى شيعته من المصريين يستنهض فيها هممهم وارسلت من قبل مونس الى بغداد والمقطوعة ان دلت على شيء فانها تدل على اهتمام الفاطميين وعنايتهم بانتقاض الحكم من العباسيين والطعن فيهم سيفا وقلما واليك المقطوعة :

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم ... أم اختدعت من قلة الفهم والأدب

صلاتكم مع من ، وحجكم بمن ؟ ... وغزوكم في من؟ أجيبوا بلا كذب

صلاتكم والحج والغزو ويلكم ... بشراب خمر عاكفين على الريب

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى ص ٥٨ دائرة المعارف لفريد وجدى ٨ ص ٣١٦ ابن الأثير فى تاريخه ٨ ص ٣٠٠

ابن الصياد انشد اكثر من الف مقطوعة في انف الجليس الى ان انتصر له ابو الفتح ابن القادوس فهجا ابن الصياد فسكت عنه ، ويمكننا القول : ان كثيرين لضعف خلقهم كانوا يحسدونه في مقامه وقرب منزلته ومكانته عند الخليفة الفاطمي فشمتوا به في حياته ومماته ، وتأيد هذا ماذكره جل المؤرخين من الأقدمين والمعاصرين (١) : انه لما مات القاضي الجليس شمت به المهذب ومشى في جنازته بثياب مذهبة فاستقبح الناس فعله ونقص بهذا السبب .

ولا يفوتنا ملاحة وهجاء الجليس أيضاً فقد كان يتفنن كثيرا في بعض فنون الشعر ومن ذلك قوله يتهكم بطبيب (٢) يقال له ابن السديد على سبيل المداعبة :

وأصل بليتي من قد غزاني	من السقم الملح بعسكرين
طبيب طبه كغراب بين	يفرق بين عافيتي وبيني
أتى الحمى وقدشاخت وباخت	فعاد لها الشباب بنسختين
ودبرها بتدبير لطيف	حكاه عن سنان اوحنين
وكانت نوبة في كل يوم	فصيرها بحذق نوبتين (٣)

وللمترجم أيضاً قصائده المذهبية التي تنم عن تأثره بالعقائد الفاطمية

---

(١) في أدب مصر الفاطمية : ص ٢١٧ .

(٢) كان طبيب الخلفاء الفاطميين وعاش بعدهم طويلا حتى توفى سنة ٥٩٢ .

(٣) خريدة القصر قسم شعراء مصر ١ ص ١٩٢ .

وتظلمه بها .

توفى القاضي الجليس عام ٥٦١ هـ قبل انقراض حكم الدولة الفاطمية بست سنوات وقبل موت زميله في ديوان الانشاء ابن الموفق بخمس سنوات ورثاه غير واحد من شعراء عصره منهم ابن قلاقس ابو الفتح نصر الله بن عبدالله اللخمي الاسكندري فقد رثاه بقصيدة مطلعها قوله :

علام وقد مات الكمال التساويا فياحسنات الدهر عدن مساويا
وقمنا نرجي في المصاب مواسيا فاعوزنا لما عدمنا موازيا
ومما شجى أن المعالي تجدلت ولم تنتصر فيها الكماة العواليا
سألت فقالوا : مصرع لوعلمته فايقنت لكني خدعت فؤاديا
فحين احتوت كف المنون على المنى تقلص عن يأس جناح رجائيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب
فلا بد ان يلقى بشيرا وناعيا
ولما سرى بي نحوه الوجد قاعداً
ولم استطع عقر عقرت القوافيا (١)

كما مدحه ابن قلاقس ورضي الدولة ابو سليمان داود بن مقدام والفقيه عمارة اليمنى بعدة قصائد ومقطوعات . . .

(١) ديوان ابن قلاقس ط ص ١١٥ .

ولائك مفروض على كل مسلم وحبك مفروط وافضل مغنم
إذا المرء لم يـكرم بحبك نفسه غدا وهو عند الله غير مكرم

إلى ان قال :

ورثت الهدى عن نفس عمى بن حيدر
وفاطمة لانص عيسى بن مريم
وقال : اطيعوا لابن عمى فانه أميني على سرّ الاله المكتم
كـذلك وصى المصطفى وابن عمه الى منجد يوم (الغدير) ومتهم
على مستوى فيه قديم وحادث وان كان فضل السبق للمتقدم
ملكت قلوب المسلمين ببيعة أمدت بعقد من ولائك مبرم
واوتيت ميراث البسيطة عن أب وحـد مضى عنها ولم يتقسم
لك الحق فيها دون كل منازع ولوانه نالى السماك بسلم
ولو حفظوا فيك الوصية لم يكن
لغيرك في اقطارها دور درم (١)

الشاعر

الفقيه نجم الدين ابو محمد عمارة بن ابو الحسن علي بن زيدان بن محمد الحكمى اليمني ابن سعد العشيرة المذحجى (١) .

---

(١) ديوان عمارة الفقيه .ط

ولد المترجم عام ٥١٣ في مدينة مرطان من وادي وساع وبعدها من مكة في مهب الجنوب احد عشر يوماً ، ونشأ وترعرع بها وعندما بلغ الحلم كما يحدثنا هو عن نفسه : بعثه والده الى زبيد مع الوزير مسلم ابن سخت ونزل بهـا ولازم التحصيل والدرس ولم يكن له هم سواه حتى انه لم يخرج طيلة بقائه في زبيد من المدرسة الا لصلاة الجمعة ، وبعد سنين عدة أخذ يدرس المذهب الشافعي والفرايض في المواريث وصنف كتاباً في الفرايض يقرأ في اليمن والتقى على والده عند ذلك شيئاً من شعره فاستحسنه واكرمه وأوصاه بتعلم الأدب وانه نعمة من نعم الله عليه فلا يكفر بها بذم الناس وشتمهم ، واستحلفه أن لا يهجو مسلما قط ببيت شعر فحلف الفقيـه عمارة وعاهده على ذلك واشتغل بالأدب وبذل دون تحصيله ما امكنه وهو على العهد الذي عاهده مع ابيه فينظم قصائداً ومقاطيعاً في مدح أبناء وطنه وعشيرته ويرثيهم بفقدهم .

اشتغل الفقيه بالأدب وبلغ ذروته وبالرغم من انه لم يكن مصريا ولكن اسمه كان يقرن باسماء فحول شعراء العصر الفاطمي ويذكر فى مقدمى كتاب ديوان الانشاء في البلاغة والمعنى مع انه لم يكن يشتغل بمهمة فى ديوان الانشاء ولـكنه لـما اوتي من حول وطول فى الشعر والنثر اصبح يعد فى مقدمهم ، اما وفوده على مصر وذلك فى ربيـع الاول عام ٥٥٠ فقد حج مع الملكه الحرة أم فاتك ملك زبيد (١) وخرج الى مكة وفي موسم هذه السنة مات امير الحرمين هاشم بن فليته وولي الحرمين قاسم بن هاشم فالزمته

---

(١) زبيد : مدينة من تهائم اليمن .

السفارة يوم ذلك ومنعته من الرجوع الى زبيـــد وقائع معه في ايفاده الى مصر والخليفة الفاطمي يومذاك الامام الفائز بن الظافر ، والوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك ، فقبل المترجم ذلك ووفد على مصر برسالة من امير مكة قاسم بن هاشم فادخل عمارة قاعة الذهب في قصر الخليفة وأنشد قصيدته التي اولها قوله :

الحمد للعيس بعد العزم والهمم ... حمداً يقوم بما اولت من النعم
لاأجحد الحق عندي للركاب يد ... تمنت اللجم فيها رتبـــة الخطم
قربن بعد مزار العز من نظري ... حتى رأيت امام العصر من امم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم ... وفداً الى كعبة المعروف والكرم
فهل دري البيت أني بعـد فرقته ... ماسرت من حرم الا الى حرم

وكان الملك الصالح يستعيد الأبيات في حال النشيد مرارا والاستاذون والاعيان والامراء وحاشية الخليفة والوزير يذهبون في الاستحسان كل مذهب ، فأعجب الخليفة بعد اتمامها ووزيره ورجال القصر وأغدقوا عليه وافاضوا نعمهم وعطاياهم وخلع من ثياب الخلافة المذهبة ، ودفـع له الصالح خمسمائة ديناراً وجاء ان السيدة الشريفة بنت الامام الحافظ دفعت له خمسمائة ديناراً اخرى وحمل المال معه الى منزله واطلقت له من دار الضيافة رسوم لم تطلق لأحد من قبله وتهادته امراء الدولة الى منازلهم للولائم وامر الوزير الملك الصالح ان يحضر عمارة مجلسه الذي يضم كبار رجال الأدب والعلم بمصر امثال القاضي الجليس وابن قادوس والمهذب بن الزبير وغيرهم ، ونظم في سلك أهل المؤانسة وانثالت عليه صلاة وغمره بره ، ووجد بحضرته

من اعيان أهل الأدب والعلم ، ومكث عمارة بمصر عدة اشهر من تلك السنة ثم عاد الى مكة ومنها رجـــع بعد شهور قليلة الى وطنه الأصلى اليمن ، وفى سنة ٥٥١ أيضاً ذهب لتأدية الحج فطلب منه امير مكة قاسم بن هاشم أن يسفر بينه وبين الملك الصالح مرة اخرى فوفد على مصر ومكث بها حيث امضى مابقى من سني حياته (١) .

وفد الفقيه على مصر واتصل بجميع الاحداث والثورات التي مرت عليها وشاهدها منذ وزارة الملك الصالح طـــلائع حتى انقرضت الدولة الفاطمية لاتصاله الوثيق وعلاقته الوطيدة برجال الدولة في خلال هذه السنين وأنشد فى كل حادثة طارئة على مصر فى تلك السنين شعراً ومدح الوزراء والامراء الذين كانت بيدهم مقاليد الدولة وشؤونها ، وكان يجد من الحوادث التي المت بمصر مناسبات لمدائحه ومن هنا يظهر صحة قولنا فى شعره من ان شعر الفقيه عمارة يعد فى الرعيل الاول من المصادر والسجلات الأدبية التاريخية التي تطلعنا بوضوح على تاريخ مصر في هذه السنين المضطربة الاخيرة التي ضعف من جرائها حكم الدولة فى ارجائها المعمورة . ومن اوثق المصادر التي تنبيء عن اخبار مصر وفصـــلا عن ايامها البهجة من ايام مصر الفاطمية .

دخل مصر الفقيه عمارة وشارك شعراء مصر في الاشادة بالاعياد وايام المواسم الفاطمية وحضر حفـــلاتها ومجالسها ونظم فى كل مناسبة ،

---

(١) النكت العصرية ص ٣١ و ٤١ — ٤٢ .

والذي يقف دونه الباحث هنا هو مذهب عمارة فقد جاء انه (١) كان سني المذهب بل كان متعصبا لمذهبه الشافعي ولم يتحول عن هذا المذهب بالرغم من محاولة الوزراء والامراء معه لكي يعتنق مذهب الفاطميين وان الملك الصالح طلائع بن رزيك بالرغم من انه كان شديد التعصب لمذهبه الفاطمي وقد ادخل عدداً من المسلمين في مذهبه فانه لم يستطع ان ينجح في محاولته مع عمارة يقول عمارة: وكانت تجري بحضرته مسائل ومذكرات ويأمرني بالخوض مع الجماعة فيها وانا بمعزل عن ذلك لا انطق بحرف واحد حتى جرى من بعض الامراء الحاضرين في مجلس السمر من ذكر السلف مااعتمدت عند ذكره وسماعه قول الله عز وجل — فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره — ونهضت فخرجت فادركني الغلمان فقلت: حصاة يعتادني وجعها. فتركوني وانقطعت في منزلي اياماً ثلاثة ورسوله يأتي في كل يوم والطبيب معه ثم ركبت بالنهار فوجدته في البستان المعروف بالمختص في خلوة من الجلساء فاستوحش من غيبتي فقلت: اني لم يكن بي وجع وانما كرهت ماجرى في حق السلف وانا حاضر فان امر السلطان بقطع ذلك حضرت وإلا فلا، وكان لي في الارض سعة، وفي الملوك كثرة، فعجب من هذا وقال سألتك بالله: ماالذي تعتقده في أبي بكر وعمر؟ قلت: اعتقد انه لولاهما لم يبق الاسلام علينا وعليكم وانه مامن مسلم إلا ومحبتهما واجبة عليه، فضحك.

ومهما كان مذهبه والى أي شطر كان يوجه اذ ليس لدينا مايؤيد

---

(١) في أدب مصر الفاطمية ص ٢١٩، ١٠٦.

تشيعه بالاضافة الى اننا على يقين من ان قصة ادخال عمارة اليمني فى الدعوة تريننا ان القائمين بامر الدول الفاطمية في ذلك الحين أي في أواخر عهدها لم يأبهوا بأمر المذهب بل كانوا كثيرا مايتسامحون مع مخالفيهم في المذهب الى حد بعيد، ثم ان عمارة فوق هذا كان قد تأثر بما كان يجري فى مصر كما ساهم مع غيره من الشعراء في الاشادة بعقائد الفاطميين، وذكر فضائلهم ومحاسنهم، ومدح خلفائهم وجارى للقوم فى عاداتهم وفي اشعارهم فهو وان لم يتشيع ولكنه لم يستطع يوماً ماأن يتخلف عن غيره من شعراء مصر فى ذكر عقائد الفاطميين ومدح أئمتهم فى احتفالاتهم، ورثائهم في أيام مآتمهم فله عدة قصائد اوكلها فيهم واليهم ومن تلك قصيدة مدح بها الخليفة الفاطمي الفائز بن الظافر، في يوم الغدير واشاد فيها بواقعه الغدير واولها قوله :

ولائك مفروض على كل مسلم   وحبك مفروط وأفضل مغنم

وقوله من قصيدة يرثي بها العاضد ويشيد بدولته وأيامه ومطلعها :

أسفي على زمن الامام العاضد   اسف العقيم على فراق الواحد

لهفي على حجرات قصرك إذ خلت   يابن النبي من ازدحام الوافد

وعلى انفرادك من عساكرك التي   كانوا كامواج الخضم الراكد

ان القصائد التي نظمها الفقيه عمارة في رثاء الدولة الفاطمية كثيرة جداً ولم تكن منحصرة بهذه وحدها بل هناك فى ديوانه كثير من القصائد التي رثى بها الدولة، وأشاد بذكرها وهي إن دلت على شيء فانها تدل

على وفاء عمارة لهم وعلى ما اصـــابه من الفاطميين الذين حبوه بأموالهم وعطاياهم واكرموه الاكرام كله، فقابل ذلك كله بوفاء الوفي الأمين ومنها قوله من قصيدة يرثي بها اهل القصر من الملوك الفاطميين ويشيد بالأعياد والمراسيم التي كانوا يحتلفون بها واولها :

رميت يادهر كف المجـد بالشلل
وجيـــده بعـد حسن الحلي بالعطل

سعيت فى منهج الرأي العثور فان
قـدرت من عثرات الدهر فاستقل

وفيها يقول بعد ان وصف أيامهم وذكر اعيادهم ومنشآتهم :

والله لافاز يوم الحشر مبغضـــكم
ولانجا من عذاب الله غير ولي

ولاسقى الماء من حر ومن ظمأ — من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولارأى جنة الله التي خلقت — من خان عهد الامام العاضد بن علي
أئمتي وهـــداتي والذخيرة لي — إذا ارتهنت بما قدمت من عملي
تالله لم اوفهم في المـــدح حقهم — لأن فضلهم كالوابـل الهطـل

ولو تضاعفت الاقوال واتسعت
ماكنت فيهم بحمد الله في الخجل

باب النجاة هم دنيا وآخرة — وحبهم فهو اصل الدين والعمل

نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل
الغيث ان ربت الانواء فى المحـــل

أئمة خلقوا نوراً فنورهم من محض خالص نور الله لم يفل

والله مازلت عن حبي لهم ابدا

ماأخر الله لي في مـــدة الأجل

والذي يعلم أن عمارة كان اصدق مثال للشعراء الوافدين على مصر ، ومن الذين للموافى شعرهم بالعقائد الفاطمية ، مع انه لأول وهلة لبعده عن مركز الخـــلافة لم يكن يعرف شيئاً وافرا عن عقائدهم ، ولذلك نجده في القصائد التي نظمها في اوان وروده لمصر لم يتحدث عن عقائدهم والمعاني الباطنية عندهم إلا النذر اليسير على انه بعد مكوثه واستقراره بمصر واتصاله بالشعراء ولاسيما البيئة المصريه وسماعه جدل العلماء ومناقشاتهم في المجالس تأثر من ذلك حتى ان تأثير البيئة الفاطمية فى شعره نجده واضحاً فيخيل لقارىء شعره انه أصبح على دينهم وعقيدتهم ومذهبهم فهو يقول في مدح العاضد :

وعليك من شيم النبي وحيدر للناظرين أدلة وشهود

والوحي ينطق عن لسانك بالذي من دونه يصدع الجامود

شخصت اليـــك نواظر الامم التي

ملكتهم لك بيعة وعهود

يوم جلت فيه الامامـــة عزها

ولها الملائكة الكرام جنود

فالفقيه في هـذه الأبيات يبين ان الوحى ينطق على لسان الامام الفاطمي بالحجج والبراهين القوية الدامغة بحيث تعجز عن تفنيدها كل حجة

ألم ترني بعت الرفاهة بالسرى ... وقمت بأمر الله حقاً كما وجب

صبرت وفي الصبر النجاح وربما ... تعجل ذو رأي فاخطا ولم يصب

الى أن اراد الله ، اعزاز دينه ... فقمت بأمر الله قومة محتسب

وناديت أهل الغرب دعوة واثق ... برب كريم من نولاه لم يخب

فجاءوا سراعاً نحو أصيد ماجد ... يبادونه بالطوع من جملة العرب

وسرت بخيل الله تلقاء أرضكم ... وقدلاح وجه الموت من خلل الحجب

وأردفتها خيلا عتاقا يقودها ... رجال كامثال الليوث لها جنب

شعارهم جدي و دعوتهم أبي ... وقولهم قولى على النأى والقرب

فكان بحمد الله مافد عرفتهم ... وفزت بسهم الفلح والنصر والغلب

وذلك دأبي مابقيت ودأبكم ... فدونكم حرب تضرم كاللهب (١)

ولم يطمئن الفاطميون من فتح المغرب بل كانوا في اضطراب وقلق ولم يقنعوا بأن سلطانهم أصبح الحاكم المطلق على كافة ارجاء افريقية وان عدم تقويضهم لدعائم الأمويين فى الاندلس ربما يطيح بعرشهم الى الأبد ولولا رجوع المعز اوالقائم لانهارت دولتهم في مهدها تحت ضربات القبائل البربرية الخصيمة لها والمعادية لمذهبها ، وانظمتها ، والدولة الفاطمية عند ذاك كانت فتية تسير مسرعة الى النماء والتوطيد ثم لم تكن الدولة البربرية فى المغرب وحدها باول خصيمة لها ، بل كانت هناك قبائل معادية كثيرة كادت تسحقها في المهد ولكنها خرجت ظافرة قوية وادركت فى نفس الوقت فداحة الخطر الذي يحيق بها ويهددها ،

---

(١) فى ادب مصر الفاطمية ص ١٦ .

وبرهان، وان البيعة عهد على عنق جميع الذين عاهدوا الامام، والملائكة هم جنود الامامة. وهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على مـــدى تأثير عمارة بالعقائد وبتأويل الفاطميين فهو يقول:

ولائك دين في الرقاب ودين

وودك حصن في المعاد حصين

وحبك مفروض على كل مسلم

يقـول بحب المصطفى ويـدين

مكث الفقيه عمارة في مصر وهو عاكف على مـــدح ورثاء الملوك الفاطميين، وينظم بكل مناسبة الى أن إنقرضت الدولة الفاطمية بموت العاضد، وخطب للمستضيء العباسي بمصر ولكن المترجم مع نفر من اتباع الدولة الفاطمية نظموا قصائد حثوا الناس على القيام بمناوئة الدولة العباسية واعادة ملك الفاطميين بتولية ابن العاضد، وكاتبوا الفرنج واستدعوا الى ما يريدونه وكانوا قد ادخلوا معهم رجـــلا من الأجناد ليس من أهـل مصر فحضر عند صـــلاح الدين واخبره عن الحوادث التي ستجري على يد نفر من الاوفياء للفاطميين، فأحضرهم فلم ينكروا الامر عليـــه ولم يروه منكرا فأمر بصلبهم وصلبوا يوم السبت في شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة، وقد قبض عليهم يوم الأحد في شهر شعبان (١).

وقـــد صلب مع الفقيه عمارة من اكابر الشعراء والفقهاء منهم

---

(١) وفيات الاعيان ط ايران ١ ص ٤١١.

قاضي القضاة ابو القاسم هبة الله بن الكامل ، وابن عبد القوي داعي الدعاة - كان يعلم بدفائن القصر فعوقب ليدل عليها فامتنع من ذلك فمات واندرست ، وناظر الديوان العويرس ، وكاتب السر شبريا ، وعبد الصمد الكاتب احد امراء مصر ، ونجاح الحمامي ، ومنجم نصراني كان قد بشرهم بأن هذا الامر يتم لهم .

قال المقريزي : فلله در عمارة لقد قام بحق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته لاجرم انه قتل في واجب من يهوى كما هي سنة المحبين والله يرحمه ويتجاوز عنه «١» .

«١» الغدير ٤ ص ٣٥٥ .

الشافي

...

الحمد لله القديم الأزلي المبدع العالي معل العلل
باري البرايا الدائم الفرد الصمد الجاعل الواحد أصلا للعدد
أبدعه بأمره المجيـــد فأصبح الأول في الوجود
نوراً بسيطا حائطا بالدار من سائر الجهات والأمصار
سماه عقـــلا سابقا فعالا فجل عن إدراكه تعالى

إلى ان يقول :

وسلم الحكمة والتأويلا وموجز التفسير والتفصيلا
حتى إذا ما أمر الرسول بما به قد جاءه جبريل
أول من بايع تحت الشجرة محمداً قبل الرجال العشرة
وصار في خم على (الغدير) ونص بالأمر على الوزير
إلى علي انزع البطين لانه كان أساس الدين
تنصيب مولانا الامام حيدرة أبا الأئمة الكرام البررة
لما أتى من حجـــة الوداع خاتمة الاعمال والاوضاع
علي المخصوص بالتطهير من الاله البارى القدير «١»

الشاعر

من الأراجيز النادرة التي ظمت العقائد الفاطمية ورسالتهم التشريعية

«١» القصيدة الشافية . . . خ .

ارجوزة تعرف بالقصيدة الشافية ... وهي على غرار القصيدة الصورية السالفة الذكر في ص٨٦ من نظم الداعي الاسماعيلي الاجل الحافظ محمد بن على الصوري المتوفي سنة ٤٤١ والذي تعرف من ثنايا القصيدة الشافية انها جائت لتشرح الاصول الفاطمية الواردة في القصيدة الصورية وتبيان غوامضها ولذلك نجـــد ناظمها في اخر الارجوزة يثني على الصوري ويعترف بعجزه وتقصيره .

تقع الارجوزة الشافية ... فى ٦٥٢ بيتا واولها :

الحمد لله القديم الأزلي المبدع العالي معل العلل

واخرها :

موازنا قول الاديب الصوري معترفا بالعجز والتقصير
إذ قال والقول شبيه قولي بمنـــة الله ولي الحول
الحمد لله معل العلل ومبدع العقل القديم الازلي
نجـــد له ربي بعفو ورضـــى
يامن عن العاصي بصفح قد مضى
واغفر له ما كان من ذنوب فـــاله سواك من مجيب

وتوجد من الارجوزة هذه نسخة خطية فريدة فى مكتبة العلامة عارف تامر فى سوريا قد عثر عليها فى بلدة مصياف الاسماعيلية ولا توجد لها نسخة ثانية والان يعدها الاستاذ ... للطبع والتحقيق .

اما ناظمها فمجهول لايعرف عنه كل شيء سوى انه من دعاة الفاطميين عاصر خلافتهم وامامتهم وادركها وانه كان يعرف بالشافي ولذلك تذهب

القصيدة الى الشافية وليس فى اول الارجوزة ولا فى اخرها مايكشف لنا عن اسم الشاعر ولم تكن ثمة اشارة فى كتب الاسماعيلية الى القصيدة الشافية هذه ٠

هذا ما تيسر لي التوصل اليه من دراسة قسم من شعراء مصر الذين عاصروا العهد الفاطمي وتفيؤا بظلاله النعيم ٠٠٠ ومدحوا الامامة الفاطمية فى قصائدهم ونظموا هذه الاثارة ـ عيد الغدير ـ فى شعرهم ، مع العلم ان هناك عشرات من امثال هؤلاء الشعراء غير ان الظروف السياسية الظالمة التي اجتازت مصر الفاطمية بعد موت الامام العاضد ٠٠٠ واقامة الخطبة للمستضيء العباسي ٠٠٠ ابادت كل تراث فكري يتعلق بالعهد الفاطمى ومزقته شر ممزق ٠

خطبة الغدير

لقد كان الشعب المصري او الشعوب الخاضعة لحكم الفاطميين في مصر واليمن وسوريا والعراق مشتغلة في شؤونها الخاصة من زحمة العيش وتلمس الرخاء والسقام وامل الشفاء وتنتظر بفارغ الصبر ايام العيد فتجد في ظلالها من بسمة الأمل وهشة الرجاء وتطلق الوجه ، فترى الجميع في بهجة ونجوى وكأن الكل يحسون بدبيب الحركة والبسمه والحبور يسري في نفوسهم فلم يبصروا في الحياة غير البهجة والجمال والذكريات والامال الحلوة ٠

ان الشعب في ايام العيد كان يرفل بابراد المسرة والهناء وتشكل حلقات جميلة تخرج الى التلول والوهاد كما تجتمع اضغاث المنى على الثغر الحالم والكل في كساء جديد وثوب جديد ، فالعيد كان الباعث الاساسي الذي افرض عليهم تلك المشاعر الخاصة

غير ان تلك المشاعر الخاصة والظاهرة الجميلة ظاهرة الفرح والسرور والمصافحة والابتسامات والقبلة والزيارة والعطاء والبذخ وغيرها من مراسيم الاعياد كانت سائرة بعد اداء صلاة العيد والفرائض والسلام على الخليفة الفاطمي ٠٠٠ وتقبيل يده ٠٠٠ واستماع الخطبة ونشيد الشعراء ونظمهم وما اكثرهم يومذاك ، وقد اوقفناك على نماذج يسيرة من شعرهم في الفصول السالفة

أما الخطبة التي كانت تتلى من قبل الخليفة الفاطمي في كل حاضرة فاطمية فهى تشتمل على بيان واقعة غدير خم . . . يلقيها من ينيبه الخليفة لهذا الغرض تتلى على رؤوس الاشهاد وتنبأهم بالواقعة وكيفيتها واسبابها وظروفها .

ولعل اكبر اثر تركه المؤيد داعى الدعاة بهذا الشأن هو كتاب المجالس المؤيدية وهو مجموعة محاضراته التى القاها فى مجالس الدعوة وتجمع مذهب الفاطميين كله إذ لم يترك المؤيد شيئاً عن هذا المذهب دون ان يتحدث عنه في محاضراته هذه التى بلغت الثمانمائة محاضرة وفيها نرى المجلس الرابع والخامس عن الحج وقال انه القاها في أيام الحج ، والمجلس السادس عن غدير — خم — وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة «١» .

ومن المؤسف ان تاريخ الفاطمية لايزال غامضا من جوانب عدة ولازالت الكتب والآثار الفكرية التي تحتفظ بعقائد الفاطميين مخطوطة لذلك لم نتوصل الى ذكر خطبة الغدير التي كانت تلقى بمصر رغم الجهود التى بذلناها في هذا السبيل ولكن . . .

هذا ويحدثنا التاريخ عن خطبة كانت تلقى في يوم الغدير في اليمن لدى القائم باعمال الخليفة الفاطمى منذ سنة ٣٠٣ بعد ان لاقى دعاة الفاطمية فيها كثيرا من العنت والاضطهاد على يد السنيين الى أن زال نفوذ الفاطميين منها سنة ٥٦٩ على اثر حملة عسكرية ارسلت بقيادة توران شاه اليها للقضاء على دولة بنى مهدي بزبيد التى كانت تناصر الفاطميين بمصر «٢» .

«١» ديوان المؤيد ص ٦ .   «٢» النجوم الزاهرة ٦ ص ٦٩ .

غير ان الدعوة للفاطميين في اليمن بعد عودة توران شاه الى مصر سنة ٥٧١ نشطت من جديد ولكن بصورة سرية وذهب الدعاة الى مهامهم الرئيسية من نشر العقيدة الفاطمية ووضع الكتب وكشف العقائد واقامة المهرجانات والحفلات المذهبيه ومنهم : داعى الجزيرة اليمنية وأمين الدوله الفاطمية حسن بن نوح بن يوسف بن محمد بن ادم الهندي البهروجي المتوفى سنة ٩٣٩ فقد وضع كتاباً فى سبعة اجزاء باسم - الازهار ومجمع الانوار الملقوطة من بساتين الاسرار ومجامع فواكه الروحانية والثمار «١» وذلك في عهد الداعى الكبير والنائب الفاطمى سليل الهداة الراشدين حسن بن ادريس بن حسن «٢» .

وقد لخص الكتاب هذا الدكتور عادل العوا ٠٠ فأخرجه ضمن مجموعة فاطمية «٣» واثبت فيه خطبة الغدير واس الوصاية والامامة للامام امير المؤمنين عليه السلام فقد جاء بعد الحمد والثناء وذكر الاسماء المائة التي ذكرها الله للنبي الاقدس صلى الله عليه وآله فى القرآن الكريم ما نصه بخصوص عيد الغدير :

«١» نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ٢٥٧٤٩ ٠

«٢» هو الداعى العشرون من سلسلة دعاة الاسماعيلية الطيبية في دور الستر توفى سنة ٩١٧ وهو ابن الداعى المورخ المشهور ادريس عماد الدين المتوفى سنة ٧٨٢ ٠

«٣» منتخبات اسماعيلية ط دمشق عام ١٩٥٨ ويقع في ٢٧٢ صحيفة ٠

خطبة الغدير في اليمن:

— وآخر ماحج — ص — حجة الوداع سنه عشر من الهجرة بعد ان أعلم الناس من أهل الاسلام في النواحي انه يريد الحج لتعرف الامة مناسك حجها ، وما افترض الله تعالى . فخرج صلى الله عليه وآله من المدينة في شهر ذي القعدة الحرام لخمس ليال بقين من الشهر وتلك الحجة تسمى حجة الوداع لانها آخر حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وآله وحجة البلاغ لما اوحى فيها اليه عليه السلام : ياايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك — في علي — وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس — الآية .

وأمر الله نبيه محمداً ان ينص على علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله وعلى آله الطاهرين من الهما ، وأن يبين ولايته لجميع من حضره من امته ، وكان ذلك بعد رجوعه صلى الله عليه وآله من مكة بعد تمام تلك الحجة . فابان صلى الله عليه وآله ولاية وصيه عليه السلام اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام قبل ان يفترق من حج من المسلمين وكانوا على ماأتت به الاخبار نيفا وسبعين الفا وصار صلى الله عليه وآله بغدير خم . . . وكان ذلك اليوم اشد الحرارة من الحر . فأمر منادياً ينادي بالصلاة جامعة ، وأمر بدوحات مجتمعة فقمم ماتحتهن واستظل تحتهن فاجتمع الناس اليه أجمع ماكانوا ، لانه قل من المسلمين من لم يخرج معه في تلك الحجة فلما اجتمعوا ابتني له صلى الله عليه وآله مثل المنبر من الحجارة ورقى عليه فقام فيهم صلى الله عليه وآله خطيباً بعد ان حمد الله واثنى عليه :

أيها الناس ان الله عز وجل لم يبعث نبيا إلاعاش نصف ماعاش الذي قبله واني اوشك ان ادعى فاجيب . واني تارك فيكم الثقلين

بعدي ماان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين . وضم اصبعيه المسبحتين من يديه — ولااقول كهاتين — وضم اصبعيه المسبحة والوسطى من يده اليمنى لأن احدهما تسبق الاخرى ثم أخذ بيد عليه‌السلام وأقامه ورفع يده بيده حتى رؤى بياض ابطيهما وقال : من أولى بكم من انفسكم ؟ قالوا : اللهم ورسوله أعلم . قال : ألست أولى بذلك لقول الله عزوجل : النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا : اللهم نعم . فكرر ذلك ثلاثا وأخذ اقرارهم ثم قال : فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه . اللهم وال من والاه . وعاد من عاداه . وانصر من نصره واخذل من خذله . وادر الحق معه حيث دار، هل سمعتم واطعتم ؟ قالوا : اللهم نعم قال : اللهم اشهد على اقرارهم كرر عليه‌السلام هذا القول عليهم أيضاً ثلاث مرات ثم نزلت عليه الآية وهي — اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا لان الفرائض كانت ينزل منها شيء بعد شيء وتنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الاخرى فكانت الولاية اخر الفرائض فانزل الله هذه الآية «١» .

ثم بدعم قوله هذا بالاحاديث والروايات الواردة عن امير المؤمنين صلى‌الله‌عليه‌وآله في هذا الشأن واحتجاجاته يوم الشورى واقامة الحجة عليهم بصورة مفصلة ويختم مجلسه بذكر وفاة النبي الاقدس صلى‌الله‌عليه‌وآله والبكاء عليه .

فما اروعها من ذكرى . . . وما احلاه من مهرجان وكأنها كما قال الشاعر :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنهم وكأنها احلام

«١» منتخبات اسماعيلية ص ٢١٥ .

والفاطميون مع أنهم قد استطاعوا في فترة قليلة من الزمن ان يدوخوا قبائل المغرب كلها وان ينفذوا بفتوحاتهم في المغرب الاقصى حتى المحيط فانهم مع ذلك لم يطمئنوا بالسلام والبقاء والدوام في افريقية ولم يعتبروا انهم وصلوا باقامة ملكهم في المغرب الى ذروة الاماني والغايات السامية ولكنهم ايضاً لم تثن عزائمهم من ارسال الدعاة والجيوش لمصر حتى وجدوا في تربة مصر الخصبة اثر دعايتهم الفعالة في زعزعة الافكار السنية في المشرق وضعف امر العباسيين في الداخل والخارج ، فكانت هذه وأمثالها من العوامل التي شجعت المعز على المضي فى مصر واعانه على ذلك ضعف مصر نفسها من النواحى الاجتماعية و السياسية والاقتصادية فتفألوا في تحقيق حلمهم فى الاستقراء فى بلاد مصر .

ويمكننا القول ان الدعوة الفاطمية راجت بمصر رواجاً لم يعهده الفاطميون من قبل ! ولم يحلموا به وكانت دعوتهم أسبق اليها من جيوشهم وان الدعاة استطاعوا ان يبذروا في نفوس بعض المصريين ان لم نقل جلهم معتقدات الفاطميين فاستجاب لهم من استجاب وكانوا عونا لجيش جوهر القائد في دخول مصر سنة ٣٥٨ ، ويحدثنا التاريخ الذى تسالمت الامة على حجيته عن كيفية قيام الفاطميين فى ترويج مذهبهم بمصر فيقول : لما اخفق السيف عند الفاطميين عولوا على الدعاية لتحقيق آمالهم وأمانيهم فكانوا يدمجون فى صفوف جندهم دعاة عهداليهم ان يختلطوا بالناس ويعلموهم عقايد المذهب الاسماعيلي فلم يلبث ان صار فى مصر قبل فتح هذه البلاد بزمن طويل عدد غير قليل يعتقد المذهب الشيعي ويرجو نجاحه (١) .

(١) المعز لدين الله ص ٦٩. الفاطميون فى مصر ص ٨٩ .

خطبة الغدير في بلاد الشام :

أما خطبة يوم الغدير ومراسيمه والاحتفال به خلال العهد الفاطمي في سوريا فهناك عدة خطب مفصلة وضعت في سنين مختلفة وبأساليب شتى ولكن كلها متحدة في المعنى والهدف والغاية . . . وقد تفرد بذكر الخطب تلك وجمعها ابو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني في كتابه «١» واليك نتفا من خطبه انشئت لهذا الفرض :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر حكمته من قدرته ، وابدى اسمه من نور ذاته مولاه وأظهره معناه الذي لاشريك له ولا مثيل ولا عديل ولا نظير ، معنى قديم أزل والاسم قديم أزلي محدث ظهوره عند بارئه ومكونه ومنشئه ، انطقه بعد السكون والاختفاء وابدى منه كل حق وهدى ، وصلوات السيد الكريم على الباب المشرق المنير الذي بوأه علم معرفته وعرفه مكنون باطن صفته وعلى ايتام ملكه ومراتب قدسه الكرام والسادة البررة مصابيح كل ظلام وعلى من يليهم من أهل الصفاء ومن قرب منهم من خالصي اهل الوفاء وسلم تسليما .

فأما ياولدي فضل يوم الغدير ، وماجمله الله تعالى فيه من التشريف وما يجب على المؤمنين من العمل فيه ، فاعلم هداك الله انه في شهر ذي الحجة وهو اليوم الثامن عشر في كل سنة وله فضل كبير وشرف عظيم وان العيد

«١» سبيل راحة الارواح ص ٦٠ و ٦٣ و ٦٥ و٦٨ و٧٣ .

محمد اعلى ذكره من مولاه السلام ، دعا في هذا اليوم الى مولاه ومعناه وهو يوم عظيم شرفه كبير محله ، وفي هذا اليوم يقوم قائم آل بيت محمد وهو اليوم المشهود الذي يظهر فيه المولى ، ويكشف الغطاء ، ويعظم فيه الجزاء ، وكان هذا اليوم بالجحفة ويقال : أرض الجحف فخرج السيد الأجل محمد على ذكره السلام ضحى نهار ، واصلح منبراً من حجارة واجتمع العالم فيه وفيهم الأول والثاني والثالث ، وكان يوم دعوة لا نداء لأن النداء كلام المعنى ، واشارته الى نفسه والدعوة كلام الاسم ودلالته على معناه جل وعز فقال مسمعا الجميع من حضر وسمع كلامه من أهل السموات والأرض والعرب والعجم والملائكة والأمم ، فأخذ بيد مولاه وغايته ومعناه وقال : ان الله تعلى قد أمرني ان اقيم لكم علياً اماماً وعلما اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ، فوصل هذا القول الى كل أحد بقدر مااستحق ، فأهل الكدر سمعوا القول بان هذا عليا امام ، والمؤمنون سمعوا ان هذا بارئكم فاعرفوه ومولاكم فلا تنكروه ، وهو يوم شريف القدر جليل الخطب فيجب ياسيدي ان تتحقق فضل هذااليوم وتغتسل بكرة وتلبس افخر ثيابك وتهرق ماامكن من الدماء مما احل الله لك وتجمع فيه من حضر من المؤمنين ولا يحضرهم مخالف ولاصبي ولاخادم ولاجارية وقدم الطعام والشراب والبخور وان كان بينكم ضعيف فافتقدوه ببركم مما سهل الله وانفقوا فيه فقد ضمن السيد محمد منه السلام ان خلف الدرهم فيه بسبعمائة درهم وجزيله الثواب أعظم واحذروا من الهفوة والتفريط «١» .

«١» سبيل راحة الارواح ص ٦٣ — ٦٤ .

ثم يعقب كلامه بالمواعظ والدعاء والنصيحة والدعوة الى الصراط المستقيم والتمسك بحبل الله القويم واداء صلوة العيد وتلاوة الدعاء الخاص لهذا العيد واظهار الفرح والسرور الى ان تنقضي أيام العيد السعيد فينصرف كل الى عمله واشتغاله وهكذا في كل سنة من يوم الثامن عشر في شهر ذي الحجة لما لهذا اليوم من قدسية واهمية كبرى عند المولى القدير وان عليهم الاحتفال بهذا اليوم رغم عدم استقرار الامور في بلاد الشام حينذاك ضعف النفوذ الفاطمي امام الغزو الصليبي وهجمات العباسية التي اخذت تعمل بكل قواها للقضاء على الخلافة الفاطمية مع تأييد العالم الاسلامي الكامل للفاطميين واحترامه لهم منذ بدء الدعوة ٠

خاتمة...

هذه نهاية دراسة أدبية عن نفر من شعراء الدولة الفاطمية ، وقد فصلنا القول عنهم فى الصفحات الماضية سواء كانوا مصريوا النشأة والمحتد نظراء ابن قادوس ، والقاضى الجليس ، وابن جبرام انهم وفدوا عليها من انحاء المعمورة امثال ، هبة الله بن عمران داعي الدعاة من شيراز ، وعمارة اليمنى من مرطان اتباع اليمن ، وناصر خسرو علوي من ايران وقرأنا صورا مختلفة عن شعرهم فى المناسبات الفاطمية والموضوعات المتنوعة ، وعرفنا مدى تأثير عقائد الفاطميين في شعر شعرائها وانهم الى أي حد تأثروا بها حتى ان بعضا من هؤلاء الشعراء اسرفوا في المدح وغالوا غلوا فاحشاً الى حد يمكننا أن نميز الشعر الفطمى من غيره من شعر شعراء الاقطار الاسلامية الأخرى .

ولم يكن ذلك الغلو والاسراف فى المدح إلا من حيث تقدير الفاطميين الشعراء وتشجيعهم لهم من نواحى شتى ، وكان من جراء ذلك ان ازدحمت ابواب الخلفاء والوزراء الفاطميين بهؤلاء الشعراء الذين كانوا يمدون بالمسآت وكلهم يترقبون المناسبات بفارغ الصبر ليقولوا في ذلك شعرا ويأخذوا اجاريهم وصلاتهم وبما لم ينعم به أى شاعر في الدول الاخرى ولذا نجدهم يتبارون دائماً فى انشاد قصائدهم ويتنافسون في الاجادة والأتمان ولا غرابة بعد إذا كان اجتماع هؤلاء الشعراء فى مصر ومزاحمة الواحد الآخر من دوافع ازدهار الشعر في العصر الفاطمى حيث الخلفاء الفاطميون يسرفون فى الاغداق عليهم بما يملكون من مال ومتاع ورقيق

حتى ليخيل للقاريء ان حياه الشعراء كانت حياة لهو وقصف وسمر وترف وغناء وسماع والحان وكان ذلك كله مصدرا خصباً لكثير من الشعراء .

ولعل السبب الأول فى ذلك كما قلنا يرجع الى أن القائمين على شؤن البلاد كانوا قد اتخذوا من الشعر وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية على نحو ما تتخذ الاحزاب اليوم الصحف ونشر الاعلانات وسيلة تعبر عن اتجاه مناهجها واهدافها وارائها ، والفاطميون لما عرفوا قيمة الدعاية وقدرها وأثرها الوافر في المجتمع والنفوس ، اهتموا بها ايما اهتمام واصطنعوا كل مايفيدهم في سبيل دعوتهم من علماء وادباء وشعراء ، وعرفوا أيضاً ان الشعر العربى منذ العصر الجاهلي كان من اهم وسائل الدعاية للقبيلة وللاحزاب السياسيه وغيرها من الفرق الاسلامية الى بعد ظهور الاسلام فلم يشأ الفاطميون ان يغفلوا عن سلاح الشعر ويحاربوا خصومهم به ويشهروه في وجوه اعدائهم ، فلا غرو إذا وجدناهم يبذلون العطايا لشعراء دولتهم ويجعلون لبعض الشعراء رواتب شهرية كموظفين في الدولة ، وقد روى المقريزي في خططه انه كان للشعراء رواتب شهرية تقدر من عشرين ديناراً الى عشرة دنانير غير ما كانوا يبذلون عليهم من الاموال فى ايام الأعياد والمناسبات وكلام المقريزي يدل على اهتمام الفاطميين للشعراء فقد قال فى ضمن كلامه عن بركة الجيش : انه كان بها طاقات وعليها صور الشعراء كل شاعر باسمه وبلده ونسبه ووطنه وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعة من القماش كتب عليها قطعة من شعر الشاعر في المدح وعلى الجانب الآخر دف لطيف مذهب ، وإن الخليفة الآمر باحكام الله لما دخل هناك

وقرأ الأشعار أمر ان توضع على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً وان يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده «١» .

ومهما يكن من شيء فان التاريخ لم يحدثنا عن دولة من الدول الاسلامية اقامت الشعراء هذه المنزلة السامية وهذا التمجيد والحفاوة ولا نكاد نقرأ مثلا اقامته الفاطميون من وضع صورة كل شاعر مع بيان اسمه ورسمه في طاقات او في متنزهات عامة وهي ان دلت على شيء فانما تدل دلالة قاطعة على تمجيدهم وتقـديرهم لفن الشعر والشعراء ، لانهم كانوا قد عرفوا أن الشعراء لسان تمجيدهم واكبر عامل في رفـع شأن دولتهم وتوطيد كيانهم فـكانوا كـذلك حتى في القسم الاخير من العصر الفاطمي ، وهذا الاغداق بظني تماحدى بالشعراء أن يقصدوا الفاطميين من كل صوب وحدب ولهذا كـثر الشعراء في العصر الفاطمي وكـثر انتاجهم .

ثم لم يكن هذا التقدير والتشجيع من قبل خلفاء الفاطميين فحسب بل كانت سيدات القصر الفاطمي يغدقن الأموال والعطايا على الشعراء كلما سمعن من وراء الحجاب منهم مدحاً في حق أ ئمتهن اوكان الشعر وفق ذهن الفاطميين وقد قلنا في ترجمة عمارة انه بعد أن انشد قصيدته الاولى في مصر والتي مطلعها قوله :

الحمد للعيس بعـد العزم والهمم حمدا يقوم بما أولت من النعم

حازت القصيدة رضى الخلفاء واغدقوا عليـه الأموال واخرجت له السيدة الشريفة بنت الامام الحافظ خمسمائة ديناراً .

«١» الخطط للمقريزى — ١ ص ٤٨٦ .

ومثله القاضي الرشيد بن الزبير فانه عندما وفد على القاهرة بعد مقتل الخليفة الفاطمي الظافر وحضر المـآتم التي كانت قـــد اقيمت له في الديار المصرية مع الشعراء قام آخرهم وانشد قصيدته التي مطلعها :

ماللرياض تميل سكرا هل اسقيت بالمزن خمرا

وعندما وصل الى قوله :

افـــكربلاء بالعراق وكربلاء بمصر اخرى

ضج القصر بالبكاء والعويل من قبل الخلفاء والسيدات فانثالت عليه العطايا ومن ثم بدأت صلته بالقصر والوزراء حتى قيل : ان هـذه القصيدة وحدها كانت سبب تقدمه في الدولة .

فشعراء مصر الفاطمية بعد هذا كله كانوا في غنى من اسباب الترف والحياة الاجتماعية وكان همهم نظم الشعر في المناسبات فحسب ، والاتقان والاجادة في الشعر ، حتى ان تطورات حصلت في الأدب العربي ووجدت فيه خصايص لم تكن موجودة من قبل واشتغلوا في الزينة اللفظية واتيان المعاني الدقيقه ، وان المؤرخين وصفوا الشعر الفاطمي بالرقة والعذوبة والجزالة والسلالة الى غير هذا من الصفات التي توصف به الألفاظ الشعرية فضلا على أن هؤلاء الشعراء اخذوا على انفسهم ان يكون شعرهم حاويا للخصايص التي ظهرت في الشعر العربي في كل عصوره وبيئاته منذ عرف الشعر العربي ، وبعيد عن للفاظ العجمية ولهذا نستطيع ان نقول لم يتمكن باحث في تاريخ الأدب الفاطمي ان يـدعى بذلك وهو استعمال ووجود بعض الفاظ العجمية فيه ، اجـــل ولـكننا نستطيع القول ان ذلك قليل جداً وهو ناشيء

من ان بعض الشعراء حاول ان يتظرف فى الشعر باستعماله بعض الفاظ اعجمية فاستعملها .

وان الناحية التي تمتاز في الشعر الفاطمي هي ان الشعراء الفاطمية صوروا البيئة المصرية والحياة المصرية في عهدهم أصدق تمثيل، ووفقوا فى التعبير عن شخصية مصر حتى ان الشعر الفاطمي كاد يكون سجلا سياسيا للأحداث التي المت وجرت فى ذلك العصر ، وان هؤلاء الشعراء عندما كانوا لسان الدولة فى مثل هذه الأحداث السياسية فلا مشاحة ان كان ماينشد من الشعر السياسي هو صورة صادقة — وريبورتاج سياسي — لحياة مصر السياسية دون غيرها من الاقطار العالمية الاخرى.

ولكن الأسف كله ان الاحداث الطارئة على مصر ولاسيما في ايام المستنصر بالله الفاطمي ابان المحنة الكبري وفي الصراع الذي كان بين شاور وضرغام فى اواخر العصر الفاطمي كانت من اهم اسباب ضياع شعر الشعراء وكتب العلماء ، فقد كانت هذه الأحداث والاضطرابات مأساة للعصر الفاطمي نفسه إذ سببت زوال الدولة الفاطمية وأصبحت مأساة للحياة الأدبية والفكرية ايضاً ، فذهب ضحيتها مئات من الدواوين للشعراء الذين كانت تزخر بهم مصر الفاطمية ، ولو راجعنا التاريخ ودققنا النظر حول الشعر الفاطمي لعرفنا مدى هذه الخسارة التي لحقت بتاريخ الأدب المصري لضياع هذه الثروة الأدبية المصرية ولاثبتنا ان مصر الفاطمية كانت غنية بشعرائها خصبة في شعرها «١» .

«١» في ادب مصر الفاطمية — ص١٣٨—١٣٩ .

والذي ينبغي الاشادة به هنا هو ان شعراء الفاطميين بعد ما نالوه من حظ وافرو مقام رفيع كل واحد فى الدولة لم يكونوا أوفياء للـــدولة بعد ضعف حكمها وانقراضها، فكم منهم خرج من مصر غاضباً يهجوها، ومنهم من التحق بالدولة العباسيه فمدحها بقصائد عدة وهجا الفاطميين، وان مصر والفاطمية التي اكرمت هؤلاء الشعراء فمـــدحوها كانت هي مصر والفاطمية التي هجوها، بعد ان رحلوا عنها وانقرض حـكمها وكان شأنهم في ذلك شأن بقية الشعراء من ذوي الأطماع التي لاتقف عند حد، فان كثيرين من الشعراء وفدوا على مصر فأغدق عليهم الخلفاء والوزراء أموالا وعطايا جمة وهم مدحوهم وكأنهم لم يفدوا على مصر الا لقصد النوال، ولـكن سرعان ماتبدد الحـكم الفاطمي ولم يعرف الشعراء معروفهم، وجميل صنعهم وليعلم ان هذه الصفة لم تكن خاصة لهؤلاء بل هي صفة يتحلى بها جل الشعراء منذ وجد الشعر في التأريخ واليك على سبيل المثال :

— امية ابن ابي الصلت — :

لم يكن امية مصريا انما هو اندلسي النشأة والمحتد وفد على مصر في عهد الآمر بأحكام الله وكان يخدم وزيره والخليفة بالصناعتين الطب والنجوم، كما وقد التف حوله جمهور المثقفين من المصريين يأخذون عنه العلم والأدب، وبالرغم من اتصال امية بالفاطميين ومدحه لهم واشتراكه للشعراء في الأعياد والمواسم وتنعمه فى مصر بطبيعتها ولهوها، وقـــد قدره المصريون لعلمه وادبه ولـكنه خرج من مصر غاضباً غير راض عنهم يهجو مصر والمصريين، وويل لشعب وامة لم يصل بين ظهرانيهم شاعر

الى مطامعه فقال :

وكم تمنيت ان ألقى بها احداً ... يسلي من الهم اويعدي على النوب
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا ... كانت مواعيدهم كالآل في الكذب «١»

الى غير هذا من الأبيات ، وقد الف كتابا فى وصف مصر جغرافيا وتحدث فيه عن النيل ومنابعه وزيادته ونقصانه ، وروى ماقيل فيه من الشعر ، كما انه حاوي لاشعار قيلت فى المناسبات وعرف — بالرسالة المصرية وهي اوسع بحث عن تاريخ مصر العلمى والأدبي .

— الفقيه عمارة —

ذكرنا في الصحائف السالفة ترجمة الفقيه باسهاب ومدحه الفاطميين واشتراكه معهم فى المناسبات والأعياد والمواسم وقصائده التي كانت تنبأ عن اخلاصه وحبه للدولة الفاطمية كيف وقد استشهد فى سبيل الدعوة اليهم ، غير انه بعد ما قرضت الدولة وتولى الحكم والوزارة صلاح الدين الأيوبي انشد عدة قصائد يهنئه فيها،ومنها قصيدة يشبه فيها جيوش صلاح الدين بأنصار النبي صلى الله عليه وآله فيقول :

لك الحسب الباقى على عقب الدهر ... بل الشرف الراقى إلى قمة النسر
كذا فليكن سعى الملوك اذا سعت ... بها الهمم العليا إلى شرف الذكر
نهضتم باعباء الوزارة نهضــة ... اقلتم بها الاقدام من زلة العثر
كشفتم عن الاقليم غمته كما ... كشفتم بانوار الغنى ظلمة الفقر
حميتم من الافرنج سرب خلافة ... جريتم لها مجرى الأمان من الذعر

«١» اخبار الحكماء ص ٥٧ .

ثم كثرت الثورات على العباسيين لهذا وذاك وتلقفتهم سيوف الثوار من كل صوب وحدب حتى حدثت بين حكامها مناوآت عارمة ومنافسات عـــدائية ومن جهة اخرى كانت عاملة وحريصة في رد اطماع الزعماء الطامعين بالدفاع عن مصر وحمايتها من غارات المعتدين عليها والمتطلعين الى امتلاكها .

اجل ان ثورات الجند المتكررة واضطراب الشئون العامة الاجتماعية وفقدان الأمن والطمأنينة والراحة غلبت الفوضى وزادت في ضعفها فكان هذا مما دفعها الى التطلع الى مصير افضل من هذا المصير المظلم فلبثت مصر تنعى اهلها وتنتابها المصائب واصبحت مسرحا للفوضى والقلق والاضطراب وعجز الحكام عن دفـــع رواتب الجند والموظفين ولم شمثها فتفاقت الثورات وتفشى الفقر والبؤس والمرض في الشعب ومهدت السبل. وعلى اثر هذه العوامل لنجاح الفاطميين وتحقيق رغباتهم واعتقاد الخليفة الفاطمي — المعز — ان اهالى هذه البلاد ان يقاوموه بسبب الحالة السيئة التي اصبحوا فيها وان العباسيين واضطرابهم المادي وافلاسهم السياسى لم يمكنهم من انقاذ مصر وامدادها بالرجال والعتاد والمال فغمر الفاطميون البلاد المصرية بخيرات واموال وسيرت من بلاد المغرب عند ذلك حملة قادها جوهر الصقلي بامر الخليفة الفاطمي المعز سنة ٣٥٧ وكانت منتظمة تنظيما دقيقا وزودها بالاموال الضخمة والرجال والمؤون حتى لا يتطرق اليها ضعف وتدهور ولا ينتابها فتور وكان قد انفق الخليفة الفاطمي على اعداد هذه الجيوش اربعة ملايين ديناراً عـــدا ماحمله الف جمل من الذهب

ولما استغاث ابن النبي بنصركم ... ودائرة الانصار اضيق من شبر
جلبتم اليه النصر اوسا وخزرجا ... وما اشتقت الانصار الا من النصر
كتائب في جيرون منها وآخر ... واولها بالنيل من شاطيء مصر
طلعتم فأطلعتم كواكب نصرة ... أضاءت مكان الدين ليلا بلا فجر
وآبت اليكم يا ابن ايوب دولة ... ترا سلكم في كل يوم مع السفر
حمى الله فيكم عزمة اسدية ... فككتم بها الاسلام من ربقة الاسر
اخذتم على الافرنـــج كل ثنية
وقلتم لايدي الخيل مري على ـ مري ـ

الى ان يقول :

يد لا يقوم المسلمون بشكرها ... لكم آل ايوب الى أخر الدهر
بكم آمن الرحمن أعظم يثرب ... وآمن أركان الثنية والحجر
ولو رجعت مصر الى الكفر لانطوى ... صباط الهدى من ساحة البر والبحر
ولكن شددتـــم ازره بوزارة ... غدا لفظها يشتق من شدة الأزر
فهنيتم فتحا تقدم جله ... وبشر ان الكل يتلو على الاثر
وما بقيت في الشرك الا بقية ... تتمتها في دمة البيض والسمر
وعند تمام الملك آتي مهنئـــا ... وملتمسا أجر الكهانة والزجر
ولولا اعتقادي أن مدحك قربة ... ارجي بها نيل المثوبة والأجر
لما قلت : شعرا بعد اعفاء خاطري ... ولي سنوات منذ تبت من الشعر
فأوص بي الأيام خيرا فانهـــا ... مصرفة بالنهي منك وبالأمر « ١ »

« ١ » الرضتين في اخبار الدولتين ص ٤١٢ .

وجائزتي : تسهيل اذني عليكم   وملقاكم لي بالطلافة والبشر

غير ان القصيدة هذه لم تقع موضع الرضى من صلاح الدين وامره بابعاده ونفيه فهنا عمد الفقيه الى وضع مخطط يطيح بوزارة صلاح الدين . . .

— الشيزري مؤيد الدولة —

الأمير الكبير سلالة الملوك والسلاطين ، ابو الحارث وابو المظفر اسامة بن مرشد بن علي بن مقلدين نصر بن منقذ ، أحد الشعراء المشهورين فى عهد الملك الصالح طلائع بلغ من العمر ستة وتسعين سنة وكان عمره يعد تاريخا مستقلا وحده ، وداره كانت تعد معقلا للفضلاء ومنزلا للعلماء ، وله قصائد بديعة رائقة ، ولديه علم غزير وجود وفضل كثير ، وللملك الصالح قصائد عدة فى مدحه ، وكان في عهده واليالحصن شيزر واحد الامراء الذين كانوا يساعدون نور الدين الزنكي في حروبه ضد الصليبيين ، واحد اولاد ملوك شيزر ، أقام بمصر مدة غير قليلة في ايام الفاطميين ونال منهم ما نال من العطايا والهدايا والأموال ، ثم عاد الى الشام ولما تولى الوزارة صلاح الدين انشده :

حمدت على طول عمري المشيبا   وان كنت اكثرت فيه الذنوبا
لأني حييت إلى أن لقيت   بعد العدو صديقا حبيبا «١»

وله ديوان شعر ، وصلاح الدين كان يفضله على سائر الدواوين ، ومولده كان عام ثمان وثمانين واربعمائة ووفاته سنة اربع وثمانين وخمسمائة

«١» ابن كثير — البداية والنهاية — ١٢ ص ١٣٣ .

وكفن شر في حيل قايمرن ،

وأمثـــال هؤلاء الشعراء كثيرون اذ ماكادت تزول هذه الدولة الفاطمية ، وتشيد الدولة العباسية بوزارة صلاح الدين حتى انبرى شعراء الفاطيمة فضل على شعراء الأيوبيين يمدحون العباسيين ويقدحون في الدولة الفاطمية ويهجونهم أقبح هجاء قال احد الشعراء مخاطبا الدولة العباسية :

ألستم مزيلي دولة الكفر من بني عبيد بمصر إن هذا هو الفضل
زنادقة سبعية باطنية مجوس ومافي الصالحين لهم أصل
يسرون كفرا يظهرون تشيعا ليستروا شيئا وعمهم الجهل«١»

وقال : الحكيم عبد المنعم الجلباني :

ابو المظفر مأوى كل مضطهد بحكمه ونداه يضرب المثل
مهما يمل جائرا وعاث عمـــه فعند عدل صلاح الدين يعتدل
احيا به الله مصرا فهي ناشدة وافتكها من عدو ما به قبـــل
كم للفرنج بها وردا ومنتجعا ونارهم حولها تذكو وتشتعل
فاطفأ الناصر المنصور جذوتهم وادبروا بقلوب شفها وجل
ملك تقلد سلك الملك منتظما وقال للمال هذا منك لي بدل
ففرق المال جمعـــا للقلوب به وحسبه فيهم ادراك ماسألوا
إن الملوك الذين امتد امرهم لم يخزنوا المال بل مهما حووا بذلوا
كذا السياسة فالاخبار لو علموا نجل المليك وجاءت شدة خذلوا«٢»

وقال حسان العرقلة : وكان قد وفد مع صـــلاح الدين الى مصر

«١»«٢» الروضتين في اخبار الدولتين ص ١٦٤ ، ٢٠٢ .

وانشد شعرا في الحوادث التي جرت في هذه الاوقات :

أصبح الملك بعـــد آل علي	مشرقا بالملوك من آل شاذي
وغدا الشرق يحسد الغرب	للقوم ومصر تزهو على بغداد
ما حووها الا بحزم وعزم	وصليل الفولاذ في الفولاذ
لا كفرعون والعزيز ومن	كان بها كالخصيب والاستاذ «١»

هكذا كان الشعراء وما زالوا عليه الى ان تقوم الساعة ، فالشعراء الذين مدحوا الفاطميين في عهودهم ، كانوا هم الذين هجوها بعدها ، فشعرهم يرينا صورا عن العصر الفاطمي ، وصورا عن العصر العباسي الثاني ويمثل شعرهم ناحيتين من حياة الشعب المصري في الواقع .

وفوق ذلك كله يرينا الشعراء في شعرهم مدى انجرافهم مع تيار المادة وكيف شغلت أذهانهم بهاتين الدولتين ردحاً من الزمن ، وبذلوا من جهود كثيرة في تسجيل الوقايع التي حدثت في خلال هذه القرون ، والخلاصة ان شعر شعراء الفاطمية في التاريخ العربي يعد سجلا تأريخيا حافلا عن الدولة الفاطمية واحسن صورة تاريخية منتزعة من الحياة المصرية الفاطمية المتشعبة النواحي ، واصدق تمثيل لها . . .

١٣٨٢ — ١٩٦٣ محمد هادي الاميني

النجف الاشرف

ثبت المصادر

مرتبة حسب احرف الهجاء بالنسبة لاسماء الكتب

اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الخلفا	المقريزي تقي الدين
اخبار الحكماء	ابن القفطى
اعيان الشيعة	محسن الامين العاملى
البداية والنهاية	ابن كثير
بغية الوعاة في طبقات اللغويين	جلال الدين السيوطي
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
تاريخ الخلفاء الراشدين	السيوطي
تاريخ الدول الاسلامية	ابن طباطبا
تاريخ المساجد الاثرية	حسن عبد الوهاب
تاريخ مصر	ابن اياس
الحاكم بامر الله	محمد عبدالله عنان
الحركة الفكرية في مصر	عبد اللطيف حمزة — الدكتور
حسن المحاضرة	السيوطى
الحلة السيراء	ابن الابار
خريدة القصر	عماد الكاتب الاصفهاني

الخطط — تقي الدين المقريزى

دمية القصر — الباخرزى

ديوان — ابن هاني الاندلسي

ديوان — تميم بن المعز

» — طلائع بن رزيك — خ —

» — عبد المحسن الصوري — خ —

» — عماره الفقيه

» — المؤيد داعي الدعاة

الروضتين في اخبار الدولتين — ابو شامة المقدسي

سبيل راحة الارواح — ميمون بن القاسم الطبراني

سيرة الاستاذ جوذر

سيرة المؤيد داعي الدعاة

شذرات الذهب — ابن العماد الحنبلي

صبح الاعشى — القلقشندى

الغدير — عبد الحسين الأمينى

الفاطميون فى مصر — حسن ابراهيم حسن — الدكتور

في أدب مصر الفاطمية — محمد كامل حسن — الدكتور

فى ركب الأدب الفاطمى — محمد هادى الاميني

القصيدة الشافية — الشافى — خ —

القصيدة الصورية — محمد الصوري

مجموعة الوثائق الفاطمية	جمال الدين الشيال — الدكتور
مصر الاسلامية	زكي محمد حسن
معز لدين الله	حسن ابراهيم حسن وطه شرف
معجم الادباء	ياقوت الحموي
المناقب	ابن شهراشوب
منتخبات اسماعيلية	عادل العوا — الدكتور
النجوم الزاهرة	ابن تغري بردي
النكت العصرية	عمارة الفقيه
وفيات الاعيان	ابن خلكان
الهمة في آداب اتباع الأئمة	القاضي نعمان
يتيمة الدهر	الثعالبي

محتويات البحث

دراسات في أدب مصر الفاطمية

١ — عيد الغدير في عهد الفاطميين

٢ – ديوان طلائع بن رزيك

٣ – في ركب الأدب الفاطمى

٤ — حالة المرأة الاجتماعية فى عهد الفاطميين

٥ . الفكاهة والمجون في أدب مصر الفاطمية

الذي رصد للانفاق على هذه الحملة، (١) وقد كانت قوة زاخرة تستطيع ان تقطع هذا القفر الشاسع بين افريقية ومصر بمددها وعددها ولقـد ازكى منظر تلك القوى الجرارة وهيئتها الهائلة وقت خروجها من القيروان الى مصر في يوم من أيام الربيـع خيال شاعر معاصر هو ابن هاني الاندلسي (٢) فانشد قصيدة يمدح فيها القائد جوهرا ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان الى مصر ويصف الجيش الفاطمي العرمرم ويذكر خروجه للتشييع واولها : :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع ... وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كأن الافق سد بمثله ... فعاد غروب الشمس من حيث تطلع (٣)
فلم أدر إذ ودعت كيف اودع ... ولم أدر إذ شيعت كيف اشيع

---

(١) المعز لدين الله ص ٨٤ .

(٢) محمد بن هانى بن محمد بن سعدون الاندلسي . . اشعر شعراء المغرب على الاطلاق من المتقدمين والمتأخرين ولأجل ذلك يقال له حسب ماذكره ابن خلكان : متنبيء المغرب . ولد بقرية سكون من قرى مدينة اشبيلية سنة ٣٢٠ وقيل ٣٢٦ وانتقل الى القاهرة واعتقد بامامة الخلفاء الفاطميين منذ وجودهم في المغرب ومدحهم بقصائد عـدة وشاركهم في الاحتفالات والمناسبات وقتل اومات سنة ٣٦٢ وعمره ست وثلثون سنة وقيل ٤٢ وله ديوان شعر كبير مطبوع .

(٣) اشارة الى كثرة الجند بحيث اظلمت الدنيا بسبب تحركهم نحو الشرق

ألا ان هذا حشد من لم يذق له غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
إذا حل في أرض بناها مدائنا وان سار عن ارض غدت وهي بلقع
تحل بيوت المال حيث محله وجم العطايا والرواق المرفع
وكبرت الفرسان لله إذ بدا وظل السلاح المنتضى يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله ورق كمارق الصباح الملمع
رحلت الى الفسطاط أول رحلة بأيمن فأل في الذى أنت تجمع
فان يك في مصر ظمأ لمورد فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويممهم من لا يغار بنعمة فيسلبهم لكن يزيد فيوسع

والقصيدة ١٠٥ بيتاً وآخرها :

سموت من العليا الى الذروة التي ترى الشمس فيها تحت قدرك تضرع
الى غاية مابعدها لك غاية وهل خلف افلاك السموات مطلع
الى أين تبغي ليس خلفك مذهب ولا لجواد فى لحاقك مطمع (١)

ولم تمض أسابيع قلائل حتى سرت الانباء في مصر بمقدم العساكر الفاطمية ولم يكن مشروع الفاطميين فى فتح مصر مجهولا بل كان للمعز دعاة يبثون دعوته خفية ويبشرون بالفتح الفاطمي أيضاً ولم يك ثمة مانخشاه الامة المصرية من هذا الفتح خصوصا بعد الذي شهدته من عسف جنود العباسيين وانهيارهم وطغيان الولاة المستعمرين وما انتهت اليه شئونها فى أواخر عهد الدولة الاخشيدية من الأضطراب والفوضى وماتوالى عليها من محن الغلاء والوباء وقد كان من سخرية الأقدار أن يتولى حكم مصر أسود خصي هو كافور وكان لهذا الحادث المذ في تاريخ

---

(١) ديوان ابن هاني الاندلسي ص ٣٩٧ ـ ٤١٢ .

مصر الاسلامية بلا ريب وقع عميق في جرح الشعور القومي ، ولقد كانت الدولة الفاطمية تجذب اليها الانظار بقوتها وغناها وكان سواد الشعب المفكر يؤثر الانضواء تحت لواء دولة قوية متينة تستظل بلواء الامامة الاسلامية كالدولة الفاطمية على الاستمرار في معاناة هذه الفوضى السياسية والاجتماعية وهكذا لقي الفاطميون حين مقدمهم الى مصر جوا ممهداً يبشر بتحقيق الفتح المنشود على خير الوجوه (١) ، وفوق ذلك كله كانت مصر ترحب دائماً بالحكم الأجنبي متى ما كان معتنقاً للديانة الاسلامية ومن أجل ذلك لم تجد مصر اية غضاضة على نفسها في قبول الطولونيين والفاطميين حتى ان الشعب الف كياستهم وحسن تدبيرهم للشؤون السياسية ، فأقام الفاطميون بها على تلو الأيام دولة سياسية وامامة دينية على اسس قوية ودعائم وطيدة لما وجدوا مصر اصلح مركز لتحقيق غاياتهم ومناجزة الدولة العباسية خصيمتها السياسية والدينية .

وقبل هذا كله فالأساس القوي الذي قامت عليه الدولة الفاطمية هو انتسابها الى علي بن ابي طالب ولهذا كان السلاح القوى الذي استعمله اعداؤها ومعارضوها هو الطعن في هذا النسب ليتوصلوا منه الى الطعن في شرعيتها وشرعية حكمها (٢)

فتح الفاطميون مصر ولم يكن فتحها غنماً سياسياً لبني عبيد الله فقط بل كان غنماً للدعوة الشيعية التي لبث بنو العباس يطاردونها زهاء

---

(١) الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية ص ٢٧ .

(٢) مجموعة الوثائق الفاطمية ا ص ١٨ .

قرنين والتي رفع لواءها عبيد الله المهدي جـــد المعز الأكبر والتي بدأت ظفرها السياسي بافتتاح المغرب فكانت مسألة الأمامة مازال سند الفاطميين وكان ملكهم الجديد بمصر يصطنع بنفس الصبغة الدينية العميقة التي حملت لواءهم إلى المغرب وأيدها الشعب المصري وانضموا تحت رايتها الخفاقة . وكانت فورة القرامطة التي امتدت يومئذ نحو الشام تهدد دعوتهم وملكهم في مصر فكان عليهم ان يؤيدوا هذه الدعوة وان يثبتوا قدسيتها ونقاءها فيثبتوا بذلك في وجه المنكرين لنسبتهم وشرعية دعوتهم انهم كما يدعون من سلالة فاطمة ابنة الرسول (ص) وولد علي ولهذا نرى المعز لدين الله حين مقدمه الاسكندرية يقول : لوفد المصريين الذي ذهب للقائه : انه لم يسر لازدياد في ملك ولا رجال ولا سار الا رغبة في الجهاد ونصرة للمسلمين ، (١) .

هذه الجملة ان دلت على شيء فانها تدل على حرص الفاطميين على مظاهر الامامة واتساع نفوذها فقد كانت الصبغة الدينية العميقة تطبـــع سياسة الدولة الفاطمية منذ القدم وبفضل هذا قامت حكومتهم وتركزت وان الصراع الذي قام بين الفاطميين والعباسيين اوالمعز والقرامطة والامويين بعبارة اخرى لامشاحة كان في الواقع صراعا على زعامة المسلمين الروحية والسياسية ، ولهذا أخذ المعز منذ دخوله مصر يحوط بنفسه هالة من التقديس حتى يتميز بذلك عن خلفاء الأمويين والعباسيين كما قلنا ويجذب نحوه قلوب الرعايا والاشياع للاحتفاظ بهذه الزعامة كيف والشعب المصري

---

(١) اتعاظ الحنفا ص ٨٨ . مصر الاسلامية ص ٨١ .

بمجموعه يتطلب من الحاكم والسلطان منذ القدم ذلك ، وان المعز لدين الله منذ غزوه مصر أخذ يقرر في اذهان اتباعه انه لسمو مكانته الدينية وغيره من الأئمة الاسماعيلية الخلفاء يستطيعون ان يكونوا واسطة بين الله وبين أشياعهم وكان هؤلاء الذين يلقنون هذه التعاليم من خلفائهم يجهدون في طاعتهم وطاعة من يمت اليهم بصلة وعلاقة وهذا ما جعل جماعة الاسماعيلية متحدين متساندين يشد بعضهم ازر بعض وقد بز المعز العباسيين والامويين من هذه الناحية لأن هؤلاء كانوا يحملون الرعاية على طاعتهم طوعا او كرها وبقوة السيف .

ولذلك لبست شخصية المعز لدين الله ثوبا قشيبا من التقديس والاجلال ولم يكن الخليفة الفاطمي كنافسه الأموي والعباسي مستبدا بامور الدولة اومسرفا في العبث واللهو والمجون بعد ان اصبح رعاياه وانصاره ينظرون اليه كشخص واجب الطاعـــة باعتباره من سلالة الرسول ﷺ (١) .

وفي ذلك قال ابن أياس ضمن حديثه عن الخلفاء الفاطميين : وكان المعز يحب العدل والانصاف بين الرعية غير انه كان رافضيا سبابا للصحابة في يوم الجمعه على المنابر وكان للمعز اخت تسمى الست سيدة الملك قيل انها توفيت في خلافة أخيها المعز فوجد لها من الذهب العين ثلثمائة صندوق من الفصوص الياقوت الملونة واللؤلؤ خمس ويبات ووجد لهـا مدهنا من الياقوت الأحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا لم يحص له ثمن ووجد لها من

(١) المعز لدين الله ص ١٣٧ ـ ١٣٩ .

من الشقق الحرير الأحمر ثلاثين الف شقة قال بعض المؤرخين : وكانت أخت المعز مع وجود هذه السعة ازهد الناس فى الدنيا وكانت لاتأكل إلا من ثمن غزلها دائماً حتى ماتت (١) .

ولقد امتدحه شاعره محمد بن هانئ الأندلسي بقصيدة أولها :

تقول بنى العباس هل فتحت مصر فقل لبنى العباس قد قضي الأمر (٢)

قالها عند ماأرسل جوهر القائد الرومي (٣) الى المعز يبشره بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها ففرح المعز بذلك .

ويشبه القصة هذه بعناها عند ما اقيمت الخطبة لبني العباس بمصر وارسل نور الدين الى الخليفة يعلمه بذلك زينت بغداد وغلقت الأسواق وعملت القباب وفرح المسلمون فرحاً شديداً وكتب العماد الكاتب عن السلطان صلاح الدين الى الملك نور الدين يبشره بذلك :

قد خطبنا للمستضيء بمصر نائب المصطفى إمام العصر

وخذلنا لنصره العضد العا ضد والقاصر الذي بالقصر

---

(١) تاريخ مصر ١ ص ٤٧ .

(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ٢ في ١٣ .

(٣) القائد جوهر — ابو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الصقلى عهد اليه المعز بفتح مصر على رأس جيش كبير فتم له فتحها بدون عناء كبير في ٧ شعبان سنة ٣٥٨ واقام بها متوليا ادارة شئونها وجباية اموالها الى ان عزله المعز لدين الله في سنة ٣٦٤ .

وتركنا الدعى يدعو ثبورا وهو بالذل تحت حجر وحصر(١)

ومها يكن من أمر فقد حكم المعز لدين الله مصر وتتابعت على يديه الانتصارات الرائعة وبظنى أن الفاطميين لم يحرزوا امثال تلك الفتوحات على يد خليفة من خلفائهم مثلما احرزوها في عهد المعز في المغرب والمشرق والبر والبحر . وقد أحدث منذ انتقال الخلافة اليه وهو أول فاتح تطوراً كبيرا فى نظام الحكم ولكنه أبقى مع ذلك نظم الحكم التى كانت عليه مصر قبل الفتح الفاطمي وأسند شئون الدولة والبلاد الجديدة الى المصريين انفسهم واشترك معهم في الحكم المغاربة الذين مرنوا ادارة البلاد ، ولقد دلت هذه الفكرة على نجاح المعز . . . نجاحا مزدوجا فانه بعمله وتفكيره هذا استطاع أن يدير دولاب الأعمال الحكومية على وفق مرامه ونهجه وان يدرب المغاربة على الاعمال الأدراية فى البلاد وان يفهم المصريين انه لم يأت لمصر إلا لأستنقاذهم من ظلم العباسيين وعبث الحكام واستبدادهم بأمور الدولة وبهذا وأمثاله وطدت علاقة المعز مع رعيته واستغل هذا الموقف لمصلحة تقدم دولته ودعوته ، وكرس جهوده وبذل النفيس دون راحة الشعب حتي جعلهم يشعرون ان الدولة الفاطمية هي التي سمت بهم الى الرفعة ولولاها للبثوا يئنون تحت كابوس العباسيين المظلم وقيودهم التعسفية .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤٦ . تاريخ الدولة الاسلامية لابن طباطبا ص ٣٠٩ .

ولقد اهتم الفاطميون دون تقدم بلادهم وشعبهم من شتى نواحيها وسهروا على راحة الشعب وحمايتهم من أعدائهم ومناوئيهم سهرا مستمرا وهذا التاريخ شاهد عدل على عنايتهم بنظام القضاء والحكم ولاغرو فانهم منذ قيامهم بالدعوة كانوا يشعرون بأن بقاءهم فى البلاد يتوقف الى حد كبير من نشر العدالة والرحمة والسلام بين الرعايا ولذا التزموا على انفسهم ذلك الى ان سقطت عام ٥٦٧ على يد صلاح الدين الايوبى الذي كان قد اتى مصر ليرد فيها الامر الى نصابه فيقض على الخلافة المصرية الجديدة — الفاطمية -- ويعيد الخطبة فيها للمستضيء العباسي فغزا الاسكندرية ولم شعث سورها وكثر القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد — آخر خلفاء الفاطميين — وتحدثوا بخلعه واقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر بعد ان ضعفت شوكة الفاطميين واخذ الفتور والضعف طريقه اليهم ذلك ان اكثر خلفائها لم يكن لهم من الخلافة إلا اسمها فلم يأت النصف الاول من القرن السادس الهجري الا كان الامر والنهي في أيدي وزرائهم واستطاع أحدهم أن يخلع الخليفة وان يقضي على بقية الفاطميين (١) وأنتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مصر زهاء قرنين وخلفت ورائها ثروة فنية وفكرية ضخمة .

ثم قبض على ساير من بقى من امراء الدولة وانزل اصحابه فى دورهم في ليلة واحدة ، فاصبح فى البلد من العويل والبكاء مايذهل وتحكم اصحابه في البلد بايديهم وقبض على بلاد العاضد ومنـــــم عنه ساير مارده

(١) تاريخ المساجد الأثريه ١ ص ١٧ .

وقبض على القصور وسلمها الى الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي وجعله زمامها فضيق على أهل القصر وصار العاضد معتقلاً تحت يده وابطل من الاذان ـ حي على خير العمل ـ وازال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد فمرض ـ العاضد ومات وعمره احدى وعشرون سنة إلا عشرة ايام ـ ١ ـ وكانت مدة خلافته بمصر اثنتي عشرة سنة وستة اشهر واياماً (٢) فلما كانت الجمعة الأولى من المحرم عام ٥٦٧ صعد المنبر الامير العالم الخبشاني وقد قدم مصر ايضا بقطع الخطبة للفاطميين وجعلها بأسم العباسيين فدعا على المنبر للخليفة المستضيء. فلم ينكر عليه أحد فأمر صلاح الدين في الجمعة الثانية جميع الخطباء ان يخطبوا باسم الخليفة العباسي ففعلوا، وهنا رواية ذهبت الى ان الخليفة الفاطمي ـ العاضد ـ كان مريضا فلم يعلمه أحد بما حصل وبقي جاهلا عن الأمر الى ان توفى عام ٥٦٧ ، وهو قول ضعيف وبعيد كل البعد عن الواقع التاريخي اذ كيف يمكن ان لا يعلم العاضد احد الخبر وهو لا يعلم عن مصير الدولة وشؤونها ولا ريب ان هـــذا القيام المسلح والتوطئة قد استغرقت بضعة اسابيع وعادت مصر الى حالتها السابقة من الظلم الغاشم والفتن والاحترام .

ورواية اخرى تفرد بها ابن اياس في سبب موت آخر خليفة فاطمي فقال : وكان سبب موت العاضد ان نور الدين الشهيد لما أرسل الى صلاح الدين يقول له : اقطع الخطبة عن اسم العاضد بالله أرسل صلاح الدين يقول لنور الدين الشهيد ان أهل مصر لا يطاوعوني على ذلك وأخشى أن

(١) اتعاظ الحنفا ص ٢٩٢ . (٢) تاريخ مصر لابن اياس ١ ص ٨٦ .

يشبوا علي بسبب ذلك فأرسل نور الدين الشهيد يقول لصلاح الدين ثانيا لابد من ذلك ، فلما رأى صلاح الدين ان نور الدين الشهيد مصمم على ذلك جمع أعيان أهل مصر وذكر لهم ما قاله نور الدين الشهيد فقالوا له : وكيف يكون ذلك ؟ فقال شخص من ابناء العجم يسمى الأمين وكان من أهل العلم أنا أفتح لكم باب هذا الأمر فلما كان يوم الجمعة ثانى محرم سنة ٥٦٧ صعد ذلك الشخص الأعجمي الى المنبر قبل صلاة الجمعة ودعا إلى الخليفة المستضيء با لله العباسي خليفة بغداد فلما صعد المنبر ودعا إلى المستضيء لم يتكلم أحد من الناس ولا انكروا فلما كان ثاني جمعة أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهره أن يقطعوا اسم الخليفة العاضد من الخطبة وأن يدعوا باسم الخليفة المستضيء با لله العباسي ففعلوا ذلك فلما بلغ العاضد ذلك انقهر وعمد الى فص من الألماس فابتلعه فمات من يومه ودفن ـ ١ ـ .

وبعد هذه المرحلة الخطيرة من حياة العاضد قطع صلاح الدين الاذان بحي على خير العمل من ديار مصر كلها وعزل قضاة مصر لانهم كانوا شيعة وولي اقضى القضاة بها صدر الدين بن درباس الشافعي واستناب فى سائر الاعمال شافعية ـ ٢ ـ وارسل الخليفة الى الملك صلاح الدين خلعة سنية ومعها اعلام سود ولواء معقود ففرقت على الجوامع با لشام والديار المصرية وكتب له تقليداذكر صورته السيوطي في حسن المحاظرة ١ ص ٢٢ ـ ٢٧ وهو دستور سياسي يلزم صلاح الدين با لسير وفق اصوله وفروعه .

---

(١) تاريخ مصر ١ ص ٦٩ .

(٢) حسن المحاظرة للسيوطي ٢ ، ص ٢١ .

فا لدولة الفاطمية فى الواقع كما ذكر بعضهم (١) كانت من الدول الاسلامية التي نجحت كل النجاح فى تنفيذ خططها والتي استقرت بمصر فكانت اوفرها بين الدول بهاءوابقاها أثراوما زال الجامع الازهر(٢)غرس الدولة الفاطميه اليانع يقوم منذ الف عام أثرا خالدا ورمزا باهرا لهذا العصر الزاهر وهذه الدولة المستنيرة العادلة وربما كان العصر الفاطمي بين عصور مصر الاسلامية الغابرة اجودها من هذه الناحية با لدرس والتمحيص واحفلها بالمواقف الشائقة وا كثرها سحرا وفتنة وابعثها الى التأمل والعطف لان الخلافة الفاطمية با لرغم مما كان يحيق باصولها وامامها من الريب فقد كانت بنظمها الطريفة ورسومها الفخمة وخلالها الباهرة تنثر من حولها فيض من العظمة والبهاء وتطبع العصر بطابع عميق من روحها الباذخ كما يحدثنا التاريخ . .

ـ ١ ـ الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ص ٩ .

ـ ٢ ـ اول جامع اسس بالقاهرة له زعامته ورسالته العلمية بناه القائد جوهر بأمر المعز لدين الله فابتدأ به يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ وانتهى العمل واقيمت أول جمعة به في ٧ رمضان سنة ٣٦١ . تاريخ المساجد الاثرية ص ٤٧ ـ ٦٣ . مساجد مصر ص ٩٧ ـ ٢١ وفى الكتابين دراسات مسجبة وتصاوير فتوغرافية جيلة عن الازهر والعمارات الطارئة عليه فى العصور التي تلت العهد الفاطمي . وكتاب مساجد ومعاهد ١ ص ٢٤ ـ ٩٣ وهو بحث عن الجامع الازهر بقلم : عبد الرحيم فوده . طبع ضمن سلسلة كتاب الشعب عدد ٧٥ .

ولا غرو في ذلك فقد نجح الفاطميون منذ دخولهم مصر واستيلائهم على عرشها فى تأسيس امبراطورية شاسعة الارجاء وحضارة باهرة لم يعرفها الشرق من قبل الا نادرا تلك الحضارة التي اشتهرت بقوانينها الصحيحة ونظمها الادارية وفنونها الجمة وتسامحها الدينى وعدالة محاكمها واهم من هذا كله تشجيعهم للحركتين الفكرية والعلمية فى كل حاضرة وزمان .

والخلاصة أن مصر وإن كانت غنما يسيرا للدولة الفاطمية، ولكنها كانت اسطع جوهرة في تاجها واعظم قطر في تلك الامبراطورية الشاسعة التي تسيطر عليها .

وفي ايام هذه الدولة أخذت انوار الحضارة الاسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على ارجاء الارض ، وأخذ الفن المصري الاسلامي يتألق في جميع نواحيه .

وفي رعاية هذه الدولة ونبت العمارة الاسلامية ونبة قويه حتى قاربت الكمال لان خلفاءها تباروا فى انشاء وتأسيس المساجد الكبري والحصون والقصور والمناظر والحدائق والبساتين كما تبارت نساؤهم في هذا المضمار الخيري العظيم ، وفى هذا العصر الزاهي انتشر الزخرف في وجهات المساجد وعنى بتصميمها فأدخلت عليها اساليب جديدة ، كما ادخلت الى مصر بعض أساليب العمارة من بلاد المغرب وانتعش التصوير ونبغ المصورون ، وترقت ودقت صناعة الجص والاخشاب ، وانشأت في عهدها مشاهد على القبور المنسوبة إلى أهل البيت ، لها تصميم خاص كما امتازت دون غيرها باستعمال المحاريب الخشبية المنتقلة وانتشر البناء بالحجر بجانب الطوب وتهذبت

المنارة وارتقت القبة ونقش داخلها وتطورت من بساطتها الى تضليع ظاهرها، وانتقال مقرنصها من حطة الى حطتين مع تعدد طاقاته.

وكانت أيامهم كلها اعيادا بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلالة الملك وطرب الشعب وبهجته. وكثير من الحفلات والتقاليد الباقية حتى الآن مدين بظهوره الى هذه الدولة.

وهذه الدولة وان كان الزمن قد اعتدى على اكثر منشآتها المعمارية كما اباد التعنت الديني والسياسي منشآتها المدنية التي اهمها القصران والمناظر الا انهما أبقيا على بعض منشآتها الدينية والكثير من طرفها الاثرية.

وجولة بين الآثار الدينية والحصون الباقية من عصرهم - في مصر - وزيارة لدار الآثار العربية لمشاهدة طرف هذا العصر في شتى الفنون تجعلنا نوقن بما كتبه المؤرخون وشادوا به من ثراء هذه الدولة التي كانت أيام حكمها لمصر مواسم لها وأعيادا - ١ -.

لذلك أرى من الضروري البحث والتحقيق في الاسس التي تركزت عليها الدولة الفاطمية ووضع دراسات عن الآثار الاسلامية التي شيدت في عهدهم شرطان تكون على منهاج علمي مجرد عن شوائب الانحياز والمغالات والطعن والقدح وانا على يقين من ان نواحي هامة كثيرة من تاريخ الفاطميين لا زالت مجهولة ولاسيما الجانب الحضاري وقد قامت في مصر وسوريا خلال السنين الاخيرة السالفة فئة من رواد الحركة الفكرية والتحقيق بالبحث عن الفاطميين واصدرت عدة بحوث وتداولوا فيها بعض نواحي الفاطميين واتجهوا

١ - تاريخ المساجد الاثرية ص ١٧.

المنهاج العلمي في البحث والدراسة غير انهم غيروا مجرى بحوثهم وانصرفوا عن مواصلة نشر موسوعاتهم الفاطمية لعوامل مجهولة .

وفي ضمن الكتب الموضوعة عن الدولة الفاطمية كتاب وضعه السيد مصطفى غالب . . . عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر (١) ضم بين دفتيه من الاباطيل والاساطير الخيالية التي لا يقر بها فاطمي او اسماعيلي ، وان الفاطميين براء من الكتاب وعما جاء في طياته من الخرافات المنسوبة اليهم كبراءة الذئب . . . من دم يوسف الصديق . . . وان إدعى مؤلفه في مقدمة كتابه انه :

ـ من المعتقدين بولايتهم والممتثلين لاوامرهم ونواهيهم بعد ان نفخ سيدي الوالد . . . فيه العقيدة الاسماعيلية . . . !

هذا والذي يستلزم الدراسة والالمام هو تاريخ الشعب المصري في العهد الفاطمي الذي يعد بحق من ازهى العصور الاسلامية ولازالت اثارهم الاسلامية في مصر تدل على ما خلفوه من الثروة الفكرية .

لهذا وذاك منذ مدة بعيدة انصرفت لدراسة الفاطميين والبحث عما وضع فيهم من المؤلفات الخاصة اوما ورد في طيات المعاجم والسير من البحوث والتعاليق وتتبع الاحداث السياسية والوقائع والقضايا الاجتماعية المتعلقة بذلك العهد الزاهر .

وكان من منن الله . . . وتوفيقه . . . بعد الدرس والاستقصاء

---

(١) طبع في دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية ويقع في ٣٣٦ صحيفة .

والتحليل ان وضعت عدة دراسات عامة عن بعض نواحي حياة الفاطميين الذي لم ينل الدرس والتحقيق والعناية والاهتمام ومن بين تلك النواحي ـ عيد الغدير ـ اذ يعد من اهم بواعث التطور الفكري والعلمي عندهم ولم تنل الناحية هـذه الفكرية مع صلتها بتراثنا الفكري الاسلامي وادبنا العربي اية عناية لذلك اثرت تقديمها ، ونشرها كفاتحة لبقية الدراسات الفاطمية التي ستتلوها انشاء الله .

والكتاب دراسة لواقعة ـ عيد الغدير ـ وبيان لمختلف مظاهرها عند الفاطميين ، وبحث عن القوى والعوامل الدافعة الى حدوثها واحداثها والاثار الشعرية التي تدور حولها باسهاب وتفصيل معتمدا في دراستي لها على اهم المراجع والوثائق والسجلات الفاطمية التي يطمأن اليها التاريخ الاسلامى الصحيح واخيرا ذكر الشعراء الذين نظموا هذه الاثاره ـ عيد الغدير ـ في قصائدهم على عهد الفاطميين وما جاء في شعرهم من العقائد الفاطمية ومن ثم الخطبة الغديرية . . . التي كانت تلقى في عيد الغدير من قبل الخليفة الفاطمي بصورة رسمية . وما توفيقي إلا بالله . . . عليه توكلت . . .

النجف الاشرف — محمد هادي الاميني

عضو رابطة الادب الحديث بالقاهره

وجمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين

العيد والفاطميون

العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام واليوم المقرر على وجه معتاد عائد اما ان تعود السنة ، أو يعود الاسبوع اوالشهر أونحو ذلك ، فالعيد عنوان يجمع امورا كثيرة منها يوم عائد كيوم الفطر ، ويوم الجمعة ، ومنها اعمال تتبــع ذلك من العبادات والعادات والتقاليد ، وقـد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً وكل من هذه الامور تسمى عيداً وربما كان لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب .

وحيث كان الناس شيعاً متفرقين منذ القدم وفرقا مختلفين منذ بدء الخلقة لم يكن البشر متفقين بالاعياد لانهم لم يكونوا متحدي المسلك والمشرب ، كما لم يكونوا متفقين في الدين والاعتقاد لذلك كان لكل امـة اعياد خاصة ولكل قطره وقبيله عيد مخصوص فيتجملون فيه ويخرجون من بلادهم بزينتهم وهذه عادة كانت لاتنفك عنها طائفة من طوائف العرب والعجم ولاغيرها من الامم والشعوب ، ولقد سنوا لاوقات الفرح وساعات السرور تقاليد ومناهج لاتطاق بدونها حياة ولا يحتمل مع عدمها عيش وقد خلقوها خلقا ليعيدوا لطباعهم المكدودة راحة ولنفوسهم المحزونة مسرة ، كيف وان الاديان والحكومات ساعدت هذه الأعياد والمناسبات السعيدة ليخلص الناس فيها بعض الوقت الى جو هادىء ملىء

من الرحمة الالهية والفرحة التي لا يألفونها على مدار العالم كله .

ولقد اتخذت الاعياد والمناسبات في انحاء العالم المعمورة لونا خاصاً . وطبعت بطابع يميزها عن غيرها والتأريخ كثيراً مايصف أعياد المسلمين والجوانب البهيجة من تلك الأعياد ثم تطورت تلك الجوانب والمراسم بتطور الازمنة وتعاقب الملوك فاحتفل الناس بها واتوا من الرسوم بقدر مايلائم أحوالهم وظروفهم ألوقتية وتقاليدهم القوميه اوالدينية ولكن هذه المراسم غالت بها بعض المجتمعات الاسلامية في بعض الظروف بتوالى الاحقاب والايام كامصر الفاطمي الذي استحل من الامور والقضايافي الأعياد مالا عهد للمسلمين الاولين بها ولم يعمل المتأخرون به ذلك لان الدولة الفاطمية كانت مبتكرة مجددة في كثير من قواعد الحكم والادارة وفي كثير من الرسوم والنظم الاجتماعية وكانت هذه الرسوم والنظم في الوقت نفسه فوق طرافتها الدستورية تصبغها بنفس الصبغة الباذخة التي كانت تطبع الدولة الفاطمية سائر مظاهرها عليها لان الخلافة الفاطمية في الواقع كانت بلاريب خلافة مذهبية وامامة دينية ولهذه الصبغة او الخلافة كان الاثر الكثير في صوغ كثير من الرسوم والنظم التي إختصت بها ولم تنمو ولم تنشأ تترعرع منذ البداية الا بفضل ذلك الطابع الديني وظله العميم فانها اكتفت بهذه الصبغة اكثر من اكتفائها بالخطط العسكرية والدينية والمدنية المعروفة وكان هذا كله من حرص خلفائها الشديد على أن تطبع الشعب والمجتمع بطابعها الخاص وأن تصوغ روح الشعب وعقليته وتفكيره وحياته العامة والخاصة وفقا لمناهجها

ودساتيرها وقوانينها ونحن نرى ان الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي اتخذت صوراً ومظاهر خاصة تفردت بذلك العصر خاصة دون مشاركة ومقارنة أي عصر آخر له .

ومهما يكن من شيء فقد افتتن الفاطميون في اقامة الحفلات والمواسيم حتى يخيل الى من يقرء تأريخهم ان حياة مصر في ذلك العصر الزاهر كانت كلها اعياد ومواسم وكلها لهو ومرح وإن كتب التاريخ قد اطنبت في ذكر بذخهم واسرافهم في اقامة هذه الاعياد واسرافهم فى العطايا والنفقات حتى قيل ان الفاطميين : قد ورثوا مال قارون الذي لاينفد « ١ » وهنا حاول المؤرخون ان يعرفوا مصدر هذه الأموال والكنوز التي كانت تتدفق وتسيل على الخزائن العديدة التي انشأها الفاطميون لهذا الغرض وهو اقامة الحفلات ومواسم الاعياد وكاد يجمع المؤرخون على انها أموال النجوى التي كان يأخذها الدعاة من المستجبين في كل مرتبة من مراتب الدعوة ولكن القاضي النعمان بن محمد المغربي مؤلف كتاب الهمة في اداب اتباع الائمة - لم يذكرلنا شيئا عن هذه النجوى وانما ذكر لونا آخر من انواع جباية الاموال وهو ما عرف بأموال الغنيمة والغنيمة ليست في الاصل من ابتداع الفاطميين ومستحدثاتهم فقد وردت في القرآن الكريم - واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — وذهب جمهرة من المفسرين والفقهاء على ان الغنائم هي ما يصيب المسلمين من عساكر اهل

« ١ » الهمة في اداب اتباع الائمة ص ٢٩ .

اهل الشرك في الجهاد في سبيل الله ، وافردت الدولة الاسلامية - ديوان جيش - لجمع الغنائم وتقسيمها على المجاهدين وغيرهم مما ورد ذكرهم فى الآية القرآنية وان كان الفقهاء والمؤرخون قد اختلفوا فيما بينهم فيما كان الامر بعد وفاة الرسول فى نصيبه ، واختلفوا فى المقصود بذي القربى فذهب بعضهم : الى ان ذي القربى هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، وقال اخرون : ذو القربى الامام خليفة الرسول ، أما الشيعة الامامية فذهبوا ان هذه اسهم اهل البيت دون غيرهم ، بيدان مؤلف - الهمة - يذهب فى الغنيمة تفسير الغويا وان المغنم هو المكسب فكل مايكتسبه الانسان فهو غنيمة وعليه ان يخرج خمس مايكتسبه للامام وهو رأي غريب لا اكاد اجد له مثيلا بين اراء الفقهاء والمفسرين ومهما يكن من شيء فان هذا الفعل يطلعنا على سر من اسرار الفاطميين فى ناحية من النواحى المالية «١»

ولامشاحة ان ثروة الفاطميين لم تكن مستمدة منابعها من على طريق الغنيمة فحسب ، وانما اوجد الفاطميون فى مصر نظاما ماليا دقيقا فهناك الدواوين الخاصة بالخراج . وهناك الضرائب المتنوعة . قد نظمت منذ الفتح العربي تنظيما دقيقا ولم يدخلوا عليه شيئا من التحسين بل كانوا يرون سعادة الدولة تقوم على رضا الرعايا وان الدولة التي تعمل على ابتزاز أموال الرعية وافقارها يكون مآلها الافلاس ولكنها فى الوقت نفسه ابطل نظام جباية الضرائب القديم وأنشأت نظاما جديداً فى تقدير الأملاك وتعيين مايحضر كلا منها من الضرائب وجمعت كل دوائره فى مركز

«١» الهمة فى اداب اتباع الائمة ص ٣٠ .

واحد وفحصت مصادر الضرائب على اختلافها وتشددت الحكومة الجديدة فى تحصيل ماتأخر منهـا ، كما اهتمت بالنظر فى كل ما تقدم اليها من الالتماسات والشكاوي وسلكت الحكومة فى تنفيذ نظام الضرائب الجديد سبيل الحزم والشدة وحمت دافعى الضرائب من دفـع الاموال كرها وعسفا فكانت نتيجة هـذه السياسة الرشيدة ان زادت موارد الدولة زيادة كبيرة « ١ » ملموسة .

ولـكن مما لا مشاحة فيه ان المعز فى مصر قد اشتد نوعاما فى سبيل الحصول على المال لان سياسته كانت ترمي الى مواصلة الفتح في بلاد الشام وطرد القرامطة منها ثم المسير الى العراق فقد وضع نظاما ماليا جديدا يتفق وسياستهم المذهبية فعملوا على التقليل من قيمة النقد الذي كان يتداول فى مصر وعملوا على رفع قيمة النقود التي تحمل اسماء الخلفاء الفاطميين ، وليس هذا وحده هو السبب بل ان الحكومة الفاطمية قد لجأت خشية أن تصاب خزانة الدولة بالافلاس والفقر الحالى الى احتكار بعض المعادن مثل ـ الشب ـ و ـ والنطرون ـ وبعض موارد الصباغة ـ مثل ثمار اشجار السنط ولاهمية هذا النوع من الاستغلال انشأ الفاطميون ديوانا اطلقوا عليه اسم ـ ديوان المستغلات « ٢ » .

وكـذلك اهتم الفاطميون في صك النقود التي عدها جوهر الصقلي والمعز مصدر ثراء دائم للدولة وكانت عناية المعز بالدينار الذي يحمل

« ١ » الفاطميون في مصر ص ١٨ .

« ٢ » الخطط ـ المقريزي ا ص ١١٠ .

اسمه واسم غيره من الفاطميين فائقة حقا حتى انه كما ذكرنا نقص من قيم الدنانير الاخرى التي لاتحمل اسمه وانشأوا فى مدن مصر المختلفة دورا لضرب النقود .

لقد كان هذا من اهم مصادر الثروةالفاطمية ، واستحدث الفاطميون في عهد الحاكم بأمر الله ديوانا للاشراف على الأموال المصادرة اطلق عليه اسم ـ الديوان المفرد ـ وكذلك أهتموابالاوقاف فانشئوا ـ ديوان الأحباس ـ وهو اشبه بوزارة الاوقاف عندنا اليوم « ١ » .

الى غير هذا من العوامل التي هيأت للفاطميين تلك الثروة التى ظن الكثيرون انها ثروة قارون التي لاتنفذ وبذلوها في سبيل رغبات الدولة ومراسيمها كالاعياد الدينية الرسمية ، وعلى سبيل المثال لاهم مظاهر الثروة والترف التي امتلات خزائن الفاطميين فى عهد المعز بالأموال يرجع ذلك الى النظام المالي الدقيق الذي سنه الفاطميون لاستغلال موارد الدولة وبذل تلك الأموال الضخمة التى انفقها هذا الخليفة — المعز فى عام ٣٥١ هـ ، حين عزم على ختان ابنائه عبد الله — ونزار — وعقيل — فقد رأى ان يشرك رعيته في أفراحه وحتم ان يقدم الأهلون ابناءهم الصغار ليختنتو اويأخذوا من الدولة كفاه ذلك مالا معلوما ، وقد سار المعز على هذه السياسة فى سائر بلاده وتدفقت الاموال من مدينة المنصورية حاضرة الفاطميين الى الولايات المختلفة ليقوم الولاة بدفع الهبات والهدايا لاباء الصغار المختتنين . واذا دققنا النظر حول مقدار الكسوة التى كان يعطيها

« ١ » المعز لدين الله ص ١٧٥ .

المعز كلا من هؤلاء الاطفال وكانت تتراوح بين مائة وخمسين درهما ومائتي درهم ، وقد اختتن في مدينة المنصورية وحدها نحو ربع مليون من الصبيان وبذلك ظهرت لنا ضخامة الاموال التي انفقها المعز في حاضرة خلافته وغيرها .

وقد وصف لنا المقريزي وصفا رائعاً لهذا الاختتان زقال : « ١ »
انه كان يختتن بحضرة المعز يوميا — ولمدة شهر — عدد لايقل عن اثنى عشر الف صبي وفوقها ودونها وختن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر الف صبي ، وكان وزن خرق الأكياس المفرغـــة مما أنفق في هذا الاعذار مائة وسبعين قنطارا بالبغدادي ، وكان من جملة المنفق في ذلك مما حمل الى جزيرة صقلية وحدها من المال - سوى الخلع والثياب — خمسون حملا من الدنانير كل حمل عشرة الاف دينار ومثل ذلك الى كل عامل من عمال مملكته ليفرقه على اهل عمله ـ .
ومما يدل على ضخامة هذه الأموال والثروة الفاطمية تلك النقود التى انفقت دون اقامة الاحتفالات بالاعياد الرسمية والشعبية وقد كانت في عهد هذه الدولة كثيرة جدا حتى ان الباحث ليعجب من نظام هذه الاعياد وكثرتها وقد ذكر المقريزي وابن ميسر والقضاعى والمسبحي ومن تبعهم من المؤرخين المعاصرين لهم والمتأخرين ثمانية وعشرين عيدا فى كل عام منها : عيد رأس السنة . ويوم عاشورا . . ومولد النبي الأعظم (ص) ومولد الامام على بن ابيطالب ومولد الحسين بن علي . ومولد فاطمة الزهراء

« ١ » اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ص ١٣٦ .

ومولد الخليفة الفاطمي الحاضر . وليلة اول رجب . وليلة النصف منه . وليلة اول شعبان . وليلة نصفه وغرة رمضان . والجمعة الاخيرة منه وموسم عيد الفطر . وموسم عيد النحر . وعيد الغدير . وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج . ويوم النيروز . ويوم الميلاد، ويوم خميس العهد وموسم وفاء النيل .

فهذه الاعياد مما أجمع المؤرخون على ان الخلافة الفاطمية كانت تحتفل بها احتفالا رائعا وفي فيض من الروعة والبهاء والبذخ ، ومهما تكن الأعياد والاحتفالات بها من شــــيء فانما تدل هذه الفكرة على سياسية دينية دقيقة وهي كما ذكره بعضهم من ان الفاطميين عملوا بها لاجل كسب احترام رعاياهم وتوجيه انظارهم نحو الدولة كما ساروا على هذه السياسة في بلاد المغرب وغالى خلفاؤهم في مصر في اقامة الحفلات ونظمها التى طبعوها بطابع خاص واقاموا المناظر وبخاصة في انحاء القاهرة فكان المعز ومن أتى بعده من الخلفاء يحتفلون بصلات الجمعة — على مارأينا — وصلاة العيدين وتوديع الحملات الحربية كما كانوا يحتفلون بيوم عاشوراء ومولد بعض أئمتهم مثل على بن ابيطالب . وفاطمة الزهراء ابنة الرسول وزوجة على ، ومولد الحسن والحسين ، كما كانوا يحتفلون ايضاً ببعض الأعياد الاخرى التى تميزهم عن السنيين مثل عيد الغدير . ومولد الخليفة القائم بالامر . وكانوا يحتفلون كذلك باعياد اخرى من ليلة اول رجب وليلة نصف رجب وليلة اول شعبان وليلة نصف شعبان وبعيد غرة رمضان وكانوا يشاركون الاهلين في بعض الاحتفال ببعض اعيادهم — الشعبية — مثل عيد جبر

الخليج ، وعيد النيروز ، وشاركوا القبط في الاحتفال بيوم الغطاس وخميس العهد وغيرها .

ونلاحظ على هذه الاعياد امورا منها :

أن المعز كان اول من مهد لهذه الاعياد في مصر وعمل على ترويجها والدعوة اليها باقامة الولائم الفخمة فكان يقيم الاسمطة في قصور الخلافة وفي المساجد ثم حذا خلفاؤه حذوه فكانو يقيمون الأسمطة في قاعة الذهب بالقصر الكبير طوال شهر رمضان وأيام العيدين وكانت هذه الأسمطة آية في الروعة والجلال ، وكان يدعى اليها قاضي القضاة وكبار القواد الموظفين ويمثل الخليفة فيها الوزير غالبا كما كانت الدولة تنفق عليها اموالا طائلة مما يدل على وفرة ثروة مصر في عهد الفاطميين «١» .

وكان الفاطميون يتخذون هذه الاعياد وسيلة لجذب الرعايا اليهم لذلك شارك المعز حتى القبط في الاحتفال بعيد - خميس العهد — وعيد يوم الغطاس - وعيد الميلاد — وغيرها وقد نهج ابناؤه واحفاده نهجه في ذلك ، ولكن حقا لم ينل عيد النيروز من تقدير المعز مانا له على يد الخلفاء الفاطميين الذي تولوا الخلافة من بعده فقد أمر هذا الخليفة في سنة ٣٦٢ هـ . بمنع الاحتفال بعيد النوروز وشهر بكل من حدثته نفسه بالابتهاج

«١» ذهب المورخون ان نفقة سماطي عيد الفطر والنحر كانت ٤٠٠٠ دينارا وبلغ ما انفق في عيد النحر عام ٥٤٥ هـ ٤٣٧٠ دينارا غير ماذبح في ايام العيد كما كانت سماط شهر رمضان فقط تقدر ٣٠٠٠ دينارا . وقس على هذا نفقات الحفلات والمواسم الاخرى .

بلياليه وانما فعل المعز ذلك لما كان يصحب هذا العيد من عادات خلقية لم تنل رضا هذا الخليفة فقد كان الفساد والخلاعة يقترنان به كما يتبين ذلك مما اورده المقريزي في خططه نقلا عن ابن زولاق حيث يقول عند كلامه على حوادث سنة ٣٦٣ هـ : ـ منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النيروز فى السكك ومن صب الماء يوم النوروز ـ ويقول فى حوادث سنه ٣٦٤ هـ — : وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثه ايام واظهروا السماجات والحلي فى الأسواق ثم امر المعز بالنداء بالكف وان لاتوقد نار ولا يصب ماء واخذ قوم فحبسوا واخذ قوم فطيف بهم على الجمال . — وليس معنى ذلك ان المعز كان فى وجه رعاياه وانما كان يعمل على حفظ الأمن وبسط الطمأنينة وانتشار السلام ، والمحافظة على الأداب والعلم والفضيلة بعد ان كان عيد النوروز من اهم اعياد الفاطميين .

وبما يدل على أن المعز كان يتخذ من الاعياد وسيلة لجذب رعاياه اليه تلك الجهود التى كان يبذلها لاحياء بعض الاعياد القومية مثل عيد جبر الخليج فقد سن المعز لخلفائه من بعده سنة التودد الى المصريين في ذلك اليوم فكان الفاطميون ينفقون الاموال الجزيلة للاحتفال به فتعطل دواوين الحكومة وتحتفل به الدولة احتفالا رسميا .

أضف الى ذلك ان المعز — وبقية الخلفاء من بعده — كان يشترك مع رعاياه في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية ومولد النبي (ص)

وليلة اول رجب ونصفه ، واول شعبان ونصفه ، : موسم غرة رمضان حتى لا يثير نفوس السنيين ويقرب مسافة الخلف بين المبادىء السنية والعقائد الشيعية « ١ » .

ولا يخفى ان الفاطميين لم يشاركوا الشعب في أعيادهم ولم يذبوا دون اقامتها ماديا فقط وانما كان البعض منهم يشارك الشعب عامة والشعراء بصورة خاصة ادبياً يلقي عليهم ما تجود به قريحتهم الخصبة ومنهم الأمير تميم بن المعز الفاطمي فقد كان يشارك المصريين لهوهم ويخرج الى منتزهاتهم ويعبث مثلهم في أديتها وقد أنشد في ذلك كله شعراً ومدح اخاه — الامام العزيز بالله — بقصائد عدة منها قوله يمدحه في عيد من الاعياد الدينية وأولها :

للعيد في كل عام	يوم يعيد سناه
وأنت في كل يوم	عيد يلوح علاه
ونعمــة وسعود	للمعتفــين وجاه
يامن تصلى المعالي	أليه حــين تراه
ومن يبر اليتامى	من كل خلق سواه
لو كان للفضل يوما	مني امكنت مناه
لان منك استمار الز	مان حسن حلاه « ٢ »

« ١ » المعز لدين الله ص ٢٨٤ — ٢٨٧ .

« ٢ » في ادب مصر الفاطمية ص ١٦٣ . ديوان تميم بن المعز ط مصر ص ٢٤ .

وهنى أخاه بعيد من الاعياد الدينية ايضابقصيدة اولها قوله :

رأيت معداً كالحسين وأنما تطول على المولود أن انجب الجد
تعرب فيهما مثلما ذاب رقــــة وظرفا ثما في وصف كنهه له حد
به يشتفي السمع الأصم بلفظه وتشفى برؤيا وجهه الاعين الرمد
كأن ضياء الشمس رداه نوره واهدى اليه قلبه الاسد الورد
وليس يبالي ان يروح فيغتدي من المال صفراحين يصبو له المجد (١)

والخلاصة ان الفاطميين كانوا من الحذق والمهارة بحيث استطاعوا ان يلفتوا اليهم نظر الشعب المصري وان ينشروا مبادىء المذهب الاسماعيلي لغة ونشرا قويين وان يشعروا العالم بعظمة الحكم الفاطمي وقد كانت الاعياد من العوامل القوية التي اعتمد عليها الفاطميون للوصول الى اغراضهم السياسة والمذهبية بما اظهروه يومئذ من العناية العظمى بالمواسم العامة فزادوا في بهجة الرعية وتوددوا اليها وملأوا أفواه زعمائها وشعرائها وسادتها وكموها ومنحوهم اثمن الفرض وطوقوا رقابهم بعواطفهم واحسانهم لاظهار سرورهم وبهجتهم بها وحدبهم عليها وان شعر شعراء الفاطميين يدلنا بوضوع على هذا المعنى ، وهو أن كل الممدوحين منهم عند الشعراء كانو يوصفون بالجود والشجاعة واصالة الرأي الى غير ذلك من الصفات التي اعتاد الشعراء ان يذكروها ، ولذلك ان القائمين على شئون البلاد كانوا قد اتخذوا من الشعر وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية على نحو ماتتخذ الاحزاب السياسة اليوم بعض الصحف وابواق الدعاية الة

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٤ .

لتعبر عن اتجاه هذه الاحزاب وارائها، ومهما يكن من شيء فان الفاطميين عرفوا قدر الدعاية واثرها فاهتموا بها أيما اهتمام، واصطفوا كل مايفيدهم في دعوتهم من علماء وادباء وشعراء فاسرفوا دون ذلك واغدقوهم من مال ورقيق ومتاع حتي كان بعض الشعراء من الثراء والغنى على حظ يحسدهم عليه العباسيون في اوج مجدهم وسعة سلطانهم.

وخاتمة القول ان هذه الأعياد التى قد زخر بها عهد الفاطميين دون نشر خصايص المذهب الاسماعيلي وعقائده نفسها كانت جزءا هاما من براج الدعاية السياسية التى فطنت لها الخلافة الفاطمية ونجحت نجاحا لامثيل له في تاريخ بقية الدولة الاسلامية الحاكمة في تاريخ الاسلام ...

عيد الغدير

لسنا بحاجة الى كثير شرح عن حفلات الفاطمية الرسمية والشعبية كالذي ذكرناه آنفا يدلنا بوضوح على ذلك الفيض الفاطمي من البذخ والترف والبهاء الذي مر على التاريخ مر الكرام وظلت الامة الاسلامية تتنعم زهاء قرنين بتلك الرسوم الفخمة والمآدب الشهيرة والبذل المأثور في المراسيم العامة والاعياد الدينية في تلك الايام والتي كانت تثير من حولها اجلالا أيما إجلال وروعة مافوقها روعة وقد كانت ايامها ولياليها الساطعة منار البهجة والمرح العام وكان بعض هذه الاعياد يجنح الى نوع من الفخامة ويتشح بأثواب من الرونق والبهاء كعيد الغدير وكان ذلك كله يرجع في الأغلب الى أثر الدولة الفاطمية في بث هذه الروح والبهجة الباذخة الى كثير من نواحي العامة والخاصة في مصر الاسلامية « ١ » .

وان المؤرخين على اختلاف نحلهم ومللهم من المعاصرين للدولة الفاطمية والذين حضروا هذه المواكب والحفلات نجدهم معجبين بتلك المهرجانات كما ان القارئ للتاريخ يجد تلك الصور الرائعة التي يصفها

« ١ » الحاكم بامر الله ص ٢١٩ .

المؤرخون امثال : ابن زولاق ، و المسبحي ، وابن الطوير ، وابن المأمون ، والمقريزي ، باهرة مبتهجة كما أن كل فرد من الفاطميين الخلفاء لم يكن يترك تلك الاعياد والمراسيم في أي ظرف وزمان بل كانوا يهتمون بها اهتماما بالغا فمصر الحاكم بأمر الله الفاطمي مثلا رغم الاحتدامات المنبقة والتطورات السياسية والمخالفات المذهبية والاظطرابات فی اوضاع الحياة الاجتماعية ، كان يقيم بمناسبة حلول الاعياد حفلات ساهرة ومآدب خيرية فتبدوا القاهرة بأسرها فی جنح ظلام الليل شعلة مضيئة تضطرم جنباتها بحياة السمر واللهو من كل ضرب ونوع ، وهذه المراسيم كانت قائمة على قدم وساق عند اوانها منذ بدء الدولة واستقرارها فی مصر الى انقراضها والشعب يستقبل الاعياد بقلب كله فرح تغمره الصحة والمرح.

واهتمام الفاطميين بعيد الغدير وعنايتهم به دون سايرالاعياد قد كان اكثر واكثر سيما فی عهد المعز لدين معدو العزيز بالله نزار والفائز بن الظافر بامر الله . وغيرهم من خلفاء الفاطمية ولهذا عينوا للاحتفال بهذا العيد وامثاله احدى قاعات البلاط الملكي وسميت ـ قاعة الذهب ـ وسنوا مراسيما وقوانينا كاحيائهم ليلته بالصـــلوة والصلاة في صبيحته ركعتين قبل الزوال ولبس الجديد وعتق الرقاب وعمل البر وقد ذكر المقريزي المؤرخ المعاصر لهم نقلا عن المسبحي المعاصر للفتح الفاطمي في مصر وصفا رائعا ليوم الغدير بعد ان حضر بنفسه الحفلات الغديرية في القاهرة وشاركهم فيها عندهم قال ما نصه « ١ » : وفي يوم الغدير وهو ثامن عشر

« ١ » الخطط المقريزي ـ ٢ ص ٢٢٣ .

ذي الحجة إجتمع الناس بجامع القاهرة والفقهاء والمنشدون في مراتبهم فكان جمعا عظيما أقاموا فيه الى الظهر ثم خرجو الى القصر فخرجت اليهم الجوائز - .

ونقل ايضاً في كتابه عن المؤرخ ابن الطوير مشهدا دقيقا اخر للمراسيم المسننة عندهم فى شأن عيد الغدير عند مختلف الطبقات قال «١» إذا كان الشطر الأوسط من ذي الحجة إهتم الامراء والأجناد بركوب عيد الغدير وهو فى الثامن عشر منه وفيه خطبة ، وركوب الخليفة بغير مظلة ولاسمة ولاخروج عن القاهرة ولايخرج لأحد شيء. فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجاري به العادة فيدخل القصر وفى دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته فيجزم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر ويكون ظهره الى دار فخر الدين جهاركس اليوم ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا فيقف في الباب ويقال له القوس وحواليه الاستاذون المحنكون رجالة من الامراء المطوقين من يأمره الوزير باشارة خدمة الخليفة على خدمته ، ثم يجوز زي كل من له زي على مقدار همته فأول ما يجوز زي الخليفة وهو الظاهر فى ركوبه فتجد الجنائب الخاص التي قدمنا ذكرها أولا ثم زي الامراء المطوقين لأنهم غلمانه واحدا فواحدا بعددهم وأسلحتهم وجنائبهم إلى اخر أرباب القصب والعماريات ثم طواف العسكر ازمتها امامها وأولادهم مكانهم لأنهم فى خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة فيكونون اكثر عددا من

«١» نفس المصدر والمجلد والصفحة .

خمسة الاف فارس ثم المترجلة الرماة بالقسي بالايدي والأرجل وتكون عدتهم قريبا من سبعة ألاف كل منهم بزمام و بنود ورايات وغيرها بترتيب مليح مستحسن .

ثم يأتى زي الوزير مع ولده أو احد اقاربه وفيه جماعته وحاشيته فى جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زى صاحب الباب وهم اصحابه واجناده ونواب الباب وساير الحجاب ، ثم يأتى زي اسفهسلار العساكر بأصحابه واجناده فى عدة وافرة ثم يأتى زي والي القاهرة وزي والى مصر فاذا فرغا خرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة فى ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص ، فاذا وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخلا من الدرب هناك جائزا على الخوخ فاذا وصل إلى باب الديلم الذي داخله المشهدي الحسيني فيجد فى دهليز ذلك قاضي القضاة والشهود فاذا اوزاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه فيسلم القاضي كما ذكرناه من تقبيل الرجل الواحدة التي تليه والشهود امام راس الدابة بمقدار قصبة ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز الى الأيوان الكبير وقد علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته وغير القرقوبية سترا فسترا ثم يعلق بدائره على سعته ثلاثة صفوف الأوسط طوارق فارسيات مدهونة ، والاعلى والأسفل درق وقد نصب فيه كرسي الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب فى هذا العيد فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الراى من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباك

وهو ينتظر القوم ويخدمه الوزير عند ماينزل ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يساره منبر الخطيب ويكون قد سير الخطيب بدلة حرير فيها وثلاثون دينارا ويدفع له كراس محرر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخليفه من النبي (ص) الى امير المؤمنين علي بن ابيطالب كرم الله وجهه ورضي عنه بزعمهم «١» فاذا فرغ ونزل صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباك فيخدم الخليفة وينفض الناس بعد التهاني من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم - عيد الغدير - اعظم من عيد النحر وينحر فيه اكثرهم.

ويذكر المقريزي غير هذين الوصفين وصفا ثالثا لعيد الغدير نقلا عن المؤرخ ابن البطائحي قال مانصه «٢»: واستهل عيد الغدير يعني من سنة ست وخمسمائة وهاجر الى باب الأجل يعني الوزير البطائحي الضعفاء والمساكين من البلاد ومن إنضم اليهم من العوالي والأدوان على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الأيامى وصار موسما يرصده كل احد ويرتقبه كل غني وفقير فجرى في معروفه على رسمه وبالغ الشعراء في مدحه بذلك ووصلت كسوة العيد المذكور - الغدير - فحمل مايختص بالخليفة والوزير وامر بتفرقة ما يختص بأزمة العساكر فارسها وراجلها من عين وكسوة

«١» كأن المقريزي بعد هذه كله لم يوافق الفاطمية بل الطائفة جمعاء على نص النبي (ص) بالخلافة لعلى بن ابيطالب (ع) في يوم غدير خم بعد ان تعالمت الامة واجمعت على صحتها ونصها.

«٢» الخطط ٢ ص ٢٢٤.

ومبلغ ما يختص بهم من العين سبعمائة وتسعون دينارا ومن الكسوات مائة واربع وأربعون قطعة والهيئة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وامرائها وضيوفها وللاستاذين المحنكين ، والمميزين منهم خارجا عن اولاد الوزير واخوته ويفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه الفان وخمسمائة دينار وثمانون دينارا وامر بتعليق جميع ابواب القصر وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدم بأن تكون الاسمطة بقاعة الذهب .

ثم ذكر المقريزي ايضاً في خططه ٢ ص ٣٨٤ تحت عنوان : ذكر الايام التي كان الخلفاء الفاطميين يتخذونها اعياداً او مواسم تتسع بها احوال الرعية وتكثر نعمهم : عيد الغدير من تلك المواسم والاعياد فقال : وفيه تزويج الأيامى وفيه الكسوة وتفرقه الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وامرائها وعتق الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم .

فهذه اوصاف ان دلت على شئ فانما تدل على ان عيد الغدير كان من الأعياد الحكومية والشعبية ويشترك فيه جميع الطبقات بأسرهم وللقلقشندي في الموضوع هذا كلمة تنبأ ان عيد الغدير فضلا على تلك المراسيم وانه عيد كساير الاعياد المذهبية كان يوما خاصا لاعراض الجنود وتفتيش الحرس قال عند ذكره أبواب قصر الذهب في القاهرة : « ١ » ثم استجد المأمون ابن البطايحي وزير الآمر باحكام الله ابو علي المنصور ـ تحت

« ١ » صبح الاعشى ـ القلقشندي ـ ٣ ص ٣١٥ .

القوس الذي بين باب الذهب وباب البحر ثلاث مناظر وسمي : احداها الزاهرة والثانية العافرة . والثالثة الناضرة . وكان الآمر يجلس فيها لعرض العساكر في عيد الغدير والوزير واقف في قوس باب الذهب ـ .

والذي يعلم بوضوح أن كثيرا ما كان الاحتفال بالاعياد الدينية من الاسباب التي استطاع الفاطميون بها محاربة العباسيين فى القطر المصري مشفوعة الى غير ذلك من العوامل التى تضعف شأن العباسيين عند الشعب عامة .

ويمكن القول ان الاحتفال بعيد الغدير يعتبر من تلك العوامل التي اتخذها المعز لدين الله وغيره من الخلفاء نهجا دينيا اجتماعيا لمخاصمة العباسيين .ومما يدل على كره الفاطميين للعباسيين منذ قيام عبيد الله المهدي للدعوة بالمغرب وقد حذا حذوه الخلفاء ، ويذهب الى دعم هذا القول تأييده ماجاء فى كتاب ـ المعز لدين الله « ١ » ونصه :

ومما يوضح هذه السياسة التي سار عليها الأسماعيلية ازاء السنيين احتفال المعز ـ بعيد الغدير ـ ولأول مرة فى تاريخ مصر ان يشهد المصريون احتفالات رائعة يرمي القائمون بها الى تقديس اشخاص الأئمة والاشادة بمذهبهم ويربطون عليا بالرسول برباط وثيق والحقيقة انه كان علي أول من أسلم من الصبيان وكان إبن عم الرسول وزوج ابنته فاطمة . واشجع من دافع عن الاسلام فى ادوار محنته كما كان موضع تقدير

« ١ » تاليف : حسن ابراهيم حسن ، طه احمد شرف .
ص ٢٥٠ـ٢٥٢ .

الرسول وأحب الناس الى قلبه ، لكن الشيعة رأوا ان يحاربوا العباسيين بنفس سلاحهم لان هؤلاء يقولون : ان العباس جـــدهم عمّ الرسول وان علي بن ابيطالب جد العلويين ابن عمه والعم اقرب من ابن العم بالطبع ويقولون ايضاً : ان العباس يرث الرسول بالعصبية وان ابناء فاطمة بنت الرسول لايستطيعون ذلك كما يتبين من قول شاعر العباسيين :

انى يكون وليس ذاك بكائن   لبنى البنات وراثة الأعمام

عمل العلويون على محاربة العباسين كما تقدم فأوحوا ان الرسول آخى علياً في يوم الغدير وانه اخذ بيد علي بن ابيطالب رضي الله عنه فقال : الستم تعلمون انى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا : بلى ، قال : الستم تعلمون انى اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا : بلى ، فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه . علي مني بمنزلة هارون من موسى . اللهم وال من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ، وكانوا يرمون من وراء ذلك الى ان يصبغوا دعواهم فى الخلافة والامامة بصبغة شرعية.

وان عيد الغدير الذي احتفل به المعز ولا يزال الشيعيون يحتفلون به الى اليوم يؤيد النظرية التي يقول اصحابها : ان على بن ابيطالب ولى عهد رسول الله دون سواه وانه كان يجب ان يخلفه فى زعامة المسلمين ومن ثم يرى الشيعيون ان ابا بكر وعمر وعثمان وبنى امية ثم بنى العباس اغتصبوا حق الخلافة من على وابنائه وبذلك عمل المعز على جذب انصار الخلفاء الراشدين والأمويين ثم العباسيين الى الدعوة الفاطمية وانه استطاع التأثير فيهم ، وقد عنى المعز . . بالاحتفال بعيد الغدير عناية فائقة وهذا

خلفاؤه حذوه فى هذا السبيل فأصبح الاحتفال بيوم ١٨ ذي الحجة من كل سنة من أهم الاحتفالات الدينية التي كانت تهتز لها جوانب القاهرة فرحا وسرورا ويقف منها السنيون المتفرجون معجبين لأنها كانت من عوامل تسليتهم ، وقد كان يعد عيد الغدير كما تقدم من أهم أعياد الفاطميين فيهنئ الاسماعيلية بعضهم بعضا وينحرون فيه اكثر مما ينحرون فى عيد الأضحى لأنهم يفضلون عيد الغدير عليه ـ .

وجاء بعد هذا القول كله مع عدم موافقتنا له فى الكتاب نفسه نقلا عن المقريزي عن ابن زولاق : ان في يوم ثمانية عشرة من ذي الحجة سنة اثنتين وثلثمائة وهو عيد الغدير تجمع خلق كثير من أهل مصر والمغاربة ومن تجمعهم للدعاء لأنه يوم عيد لأن الرسول (ص) عهد الى امير المؤمنين علي بن ابيطالب فيه واستخلفه فأعجب المعز من فعلهم وكان هذا اول من عمل بمصر ، ويقول المسبحي فى يوم الغدير هذا : اجتمع الناس بجامع القاهرة ـ الأزهر ـ ومنهم القراء والفقهاء والمنشدون وكان جمعا عظيما أقاموا الى الظهر ثم خرجوا إلى القصر فخرجت اليهم الجائزة وبذلك كان اهتمام المعز بهذا اليوم كبيرا حتى انه كان يخرج الى قنطرة المقس ويعرض الاسطول ويعوذه « ١ » ويباركه ويدعو له .

ومن جراء هذا كله وهو العناية والاحتفال بالغدير رأينا كيف كان يبتهج الشعب والرؤساء وكافة طبقات الشعب بالعيد ويتقبلونه قبل ابان يومه السعد بمراسيم وعدة وعدد وكيف يصبح القطر المصري قطعة ضياء

« ١ » اي يقرأ المعوذتين .

وشعلة وكيف كانت تلك الايام تنشر حولها من روعة وجمال اوحى منظرها البهيج اسمى المعاني والبيــــانات للشعراء فوصفوا منظر مصر فى تلك الأعياد ولاسيما ليلة الغدير ويومه فوقع التشبيه بايامه ولياليه فى الحسن والوداعة والجمال والبهجة في قول الأمير تميم بن المعز «١» فى قصيدته التي اولها :

أسرب مها عن ام سرب جنه — حاكينهن وليس هنــــه
أأنتن أنجم ذا الجو أم — بروج النجوم جلا بينكنـه
ولم ار عيداً سواكن حبشن — فأشبهن فى ليلهن الأعنه

الى ان يقول في وصف ايام العيد على عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي :

تروح علينا بأحـد اقها — حسان حكتهن من نشر هنه
نواعم لا يستطعن النهوض — إذا قمن من ثقل ارد افهنه
حسن كحسن ليالى العزيز — وجئن ببهجة ايامهنـــه «٢»

وما ذهب اليه السيد محمد راغب الطباخ فى تصحيحه وتحقيقه لكتاب — دمية القصر لابى الحسن الباخرزي في ذكر البيت الاخير ص ٣٨ . هكذا :

حسن كحسن ليالي الغدير — وجئن ببهجة ايامهن

فتصحيف فاحش وحذى حذوه الحجة الأميني فى الغدير اص ٢٤٥

«١» ستأتي ترجمته فى فصل : الغدير وشعراء الفاطمية .

«٢» دمية القصر ص ٣٨ . ديوان تميم بن المعز ص ٤٤١ .

مع العلم ان البيت الذي يليه هو :

إمام يضن على عرضـه   ولا يعتريه على المال ضنه

بالرغم من ان القصيدة كانت فى مدح الخليفة العزيز ووصف ايامه وعطاياه وسجاياه وبذله وانفاقه على الشعراء والعلماء كما جاء في ديوان الشاعر .

ولعمارة اليمني - الآتى ذكره - وصف شعري ان دل على شيء فانما يدل عن مدى تأثير تلك الاعياد بأيامها ولياليها فى نفوس الشعراء قال في قصيدته التي يرثي بها الدولة الفاطمية بعد انقراضها ويشيد بذكر الأعياد التى كانت تحتفل بها واولها :

رميت يادهر كف المجد بالشلل   وجيده بعد حسن الحلي بالعطل

سعيت في منهج الرأي العثور فان   قدرت من عثرات الدهر فاستقل

الى ان يقول بقلب كله لوعة وعبرة وتشوق الى ايامهم الذاهبة ويشيد بمآثرهم:

اسلت من اسفي دمعي غداة خلت   رحابكم وغدت مهجورة السبل

ابكي على ماتراءت من مكارمكم   حال الزمان عليها وهي لم تحل

دار الضيافة كانت انس وافدكم   واليوم اوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم إذاضحت مكارمكم   تشكو من الدهر حيفا غير محتمل

وكسوة الناس في الفصلين قددرست   ورث منها جديد عندهم وبلي

وموسم كان فى يوم الخليج لكم   يأتي تجملكم فيه على الجمل

واول العام والعيدين كم لكم   فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والأرض تهتز في يوم (الغدير) كما يهتز ما بين قصريكم من الأسل

والخيل تعرض في وشي وفي شبة مثل العرائس في حلي وفي حلل «١»

هذا عيد الغدير عندهم وبقي الوقوف على مدى تأثير هذا العيد في شعر شعراء الدولة الفاطمية بعدما اسلفنا الحديث ان موسم عيد الغدير عند الفاطميين كان افضل موسم يعبرون فيه عن مشاعرهم وعواطفهم والاسراف في البذخ والترف والجوائز وعتق الرقاب وتفرقة الذبائح والهبات والكسوات لكبراء الدولة المميزين ومشاركتهم الشعب في جميع هذه الاعياد على كثرتها وصعوبتها ويمكننا القول ان بهذه المناسبات نهضت الحركة الادبية في عهدهم واقيمت لها بمصر سوق رائجة والسبب يعود الى تشجيعهم الأدب بالمال والجوائز والثناء على الشعراء ولهذا نرى الكثيرين من شعراء الدولة العباسية هربوا من مدينة المنصور الى مدينة المعز مع العلم ان الشعراء يومئذ لم يفدوا الى مصر من بغداد فحسب وانما وفدوا اليها من جميع انحاء المعمورة وانضم هؤلاء جميعا الى شعراء مصر وازدحموا على ابواب خلفاء الفاطميين ووزرائهم يترقبون وان هذه الاعياد والمناسبات الواقية من سفر . وغاد ، وموت . وولادة ، وفتح ، وغزوه ونصر ، وعرس . وختان و... و ... و ... لما شهدوا منهم من العطاء الوافر والسخاء الغزير الذي لم يحلموا به قط في حياتهم الادبية وغيرها وكل ذلك في مواسم الاعياد والمناسبات التي عنى الفاطميون بها عناية عجيبة واحتفلوا بها احتفالا بالغا حتى كانت الاعياد لكثرتها قد اصبحت جزءا من

«١» الحاكم بأمر الله ص ٢٢٧ . الخطط ٢ ص ٣٩٣ .

الخطط التي وضعوها للترويج عن دعوتهم فزادت هذه الاعياد في بهجة الشعب المصري من جهة ، واطلقت السنة الشعراء والكتاب من جهة اخرى واتاحت للشعراء اثمن الفرص التي يستطيعون بها نيل جوائز ثمينة من الخلفاء والوزراء وغيرهم من كبار الدولة الى جانب صقل مواهبهم وقرائحهم وتهذيبها .

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن الهبات التي كانت تغدق على العلماء والشعراء الذين استوطنوا مصر من البلاد الاخرى فوفدوا على مصر واقاموا بها في طلب العلم والكسب ردحاً عن الزمن ثم تركوها الى بلادهم ومع كل واحد ما كسبه من الأموال وعلى السبيل المثال يحدثنا السيوطي جلال الدين عن : ابراهيم بن محمد بن احمد الهاشمي وهو كوفي رحل الى الشام ومصر ثم عاد الى موطنه وبه توفي في شوال سنة ٤٦٦ وكان له حظ من الشعر وتفوق في النحو واللغة وهو صاحب القصيدة التي انشدها وهو في مصر ومنها :

فإن تسألني كيف أنت فإنني	تنكرت دهري والمعاهد والقربى
وأصبحت في مصر كما لا يسرني	بعيداً عن الأوطان منتزحاً غربا

ومن الطريف ان هذا العالم الشاعر حدثنا بأنه قال هذه الأبيات وكان حصل له من المستنصر بالله خمسة الاف دينار مصرية (١) .

ولقد اتخذ هؤلاء الشعراء في صوغ الشعر الذي يقال في مدح

---

(١) بغية الوعاة ص ١٨٨ . في ركب الأدب الفاطمي فصل : المستنصر بالله .

الخلفاء الفاطميين منهجا لم يتخذه أي شاعر قبلهم وهو صوغ معان تمتاز بطابع الغلو الى درجة لا ترضى عنها اذواق أهل السنة وبقية خلفاء الدول مع سرد العقايد الفاطمية فيها ، وقد رسموا بها تين الصفتين في اشعارهم المثل الاعلى للشعر الوارد في مدح الخلافة المصرية ، والواقع ان مدح الشعراء للفاطميين كان من أجل كرمهم وعلو هممهم وهو مدح اربت عليه جوائز الفاطميين انفسهم ، اجل كل ذلك يوشك ان يتخلص في قول أحدهم اذ يقول :

مذاهبهم في الجود مذهب سنة ... وان خالفوني في اعتقاد التشيع-۱

ومعنى ذلك أن شعراء مصر اوالذين وفدوا على ابواب البلاط الفاطمي من كل صوب وحدب لم يمدحوا الفاطميين بدافع العقيدة والاخلاص من حيث تشيعهم ولكن مدحوهم من حيث مذهبهم في الجود والكرم وتلطفهم في اجتذاب قلوب الرعية عامة والشعراء منهم خاصة . . . واشباعهم بالجوائز والنقود لذلك نرى الكثيرين منهم تحولوا بعد انقراض الفاطمية الى ابواب العباسيين ولازموا أعتابهم . ومنهم من عاد الى وطنه وترك أبواب الفاطميين لانه لم يحصل على المال الجسيم الذي كان يحلم به .

۱ـ الحركة الفكرية في مصر ص ۲٦۸ .

الغدير وشعراء الفاطمية

حري بنا ذكر نزر يسير عن تراجم شعراء الدولة الفاطمية الذين كانوا يتبارون فى ميدان المدح وما اكثرهم يوم ذاك ذكر شطر يسير عن شعرهم فى الموضوع هذا وفى غيره من المناسبات التى كانت داعياً لازدهار الشعر فى عهد الأئمة والوزراء الفاطميين ، فقد فتحوا أبواب القصور للعلماء والشعراء ومشايخ إفريقية ، وأباحوا لهم جميعاً الاطلاع على الكتب المختلفه ودراستها وانتساخها والتعلم منها والتفقه فيها ، كما أباحوا للناس كافة سماع محاضرات كبار العلماء الذين كان يوثق بهم لذلك فالعلم والشعر نهضا فى عصور الفاطمية نهضةوسيعة مباركة بفضل ما كانوا يدرونه على الشعراء من هبات واموال فكانت قصورهم كعبة العلماء والشعراء والمفكرين، كما شارك الخلفاء انفسهم فى هذه النهضات واخذوا بنصيب كبير منها فمال الشعراء الى الغلو المذهبي ، وهذا مايمتاز به الشعر في عهدهم اذ كان للعقائد الفاطمية تأثير قوي فى شعر شعراء الفاطمية ، وذلك ان الشعراء الذين اتصلوا بالأئمة كانوا يمدحونهم بالصفات التى صبغها المذهب على الأئمة وقد يتعمد الشاعر ان يستعمل فى شعره المصطلحات التي اصطلح عليها علماء المذهب ، ودعاته وكلما أمعن الشاعر فى استخدام هذه المصطلحات الفاطمية وادخال هذه الصفات الاسماعيلية فى شعره إزدادت قيمته عند الأئمة وكبار

رجال الدعوة، فالشعراء على هذا المنوال كانوا من ادق الوسائل للدعوة الى الائمة والعقائد دون ان يكون لهم فى مراتب الدعوة شأن ما، ثم طغت تلك الموجة الأدبية على مصر وسرعان ما بادها الأيوبيون فيما ابادوه من تراث هذا العصر الذهبي فى تاريخ مصر الاسلامية، فضاع الشعر ولم يبق لنا التاريخ منه إلا النزر اليسير منه.

وهذه جناية ادبية سجلها التاريخ للأيوبيين، فقد تعمدوا منذ خطبة صلاح الدين الأيوبي للمستضي العباسي ان يمحوا كل اثر ادبي او علمي اومذهبي يمت للفاطميين بصلة فتروي لنا كتب التاريخ انهم ابان ورودهم لمصر احرقوا اكثر مكاتب الفاطميين بما فيها من دواوين الشعراء وكتب العلماء خشية أن يكون فيها مدحاً الأئمة وهو كفر بزعمهم ارتكبها الفاطميون في التاريخ.

ومهما يكن من شيء فان الوثائق والمجلات الأدبية التي وصل بعض منها لايدينا إن دلت على شي فانما تدل على أن العصر الفاطمي كان خصب بانتاج الشعر بحيث استطاع شعر مصر الفاطمية ان يقف بجوار غيره من الشعر فى الأقطار الاسلامية في أرقى عصوره وصوره فالعوامل التى تحدثت عنها والأثار التى وصلتنا ومانقله الرواة عن شعر مصر كل ذلك يجعلنا نقول: ان شعر مصر الفاطمية كان يحتل هذه المكانة الممتازة في الحياة الأدبية، ويتطور هـــذا التطور الـــذي تلمسه في العصر الفاطمي (١).

---

(١) في ادب مصر الفاطمية ص ١٤٠.

فالشعراء في الواقع لو ألقينا نظرة عابرة على دواوينهم لرأيناها زاخرة بمدح الملوك والوزراء الفاطميين وكانوا يتجهون اليهم بمدائحهم وربما كان جميع شعر الشاعر فيهم فحسب، والويل كل الويل للشاعر الذي لم يجعل في شعره مكانة لهؤلاء أولم يجعل شعر مدحه لهم فانه يبعد وينفى ويطرد من القصر ولا يعتنى بشأنه مهما أجاد الشاعر وبذل من حول وطول في سمو شعره وعواطفه ، بل على الشاعر أن ينشد في مواسمهم وأعيادهم وحفلاتهم التي كانت تقام لأي حادثة كبرت أوصغرت الى غيرها من مناسبات مختلفة ، فاذا قصد الخليفة الفاطمي مدحه . واذا سافر مدحه . وإذا اهداه شيئاً مدحه . وكل ذلك بجانب القصائد التي قيلت بمناسبة الأعياد .

وقد جاء أن الخليفة الحافظ ... مل من طول الشعر وكثرته فأمر أن يختصر الشعراء مدائحهم فلم يعجب ذلك الشعراء فقال الشعراء : في ذلك شعراو منهم ابو العباس أحمد بن مفرج الشاعر يخاطب الخليفة ويمدحه بقوله :

امرتنا أن نصوغ المدح مختصراً لملا أمرت ندى كفيك يختصر

والله لابد أن تجرى سوابقنا حتى يبين لها في مدحك الأثر (١)

وان الشعراء الذين لم يكن لهم الحظ الوافر ولم يسعدهم الاقبال بالحصول على مكانة مرموقة عندالفاطميين شأن بقية الشعراء فكثيرون بل هناك من نفي وبعد عن مصر أوقتل لعدم تخصص شعره في الفاطميين وعقايدهم ومنهم : ابو طاهر اسماعيل بن محمد المعروف — بابن مكنسه — فقد كان من ابلغ الشعراء، كثير التصرف ، قليل التكلف ، يفتن في نوعي جد

---

(١) في ادب مصر الفاطمية ص ١٦٨

القريض وهزله ، ويضرب بسهم وافر في رقة شعره وعاطفته ، وجزله ،ومع ذلك كله فقد ظل فى مصر بعيداً عن شعراء الخلفاء والوزراء ، ولم يوفق الى نيل حظوة عندهم .

والسبب في ذلك أن الشاعر ابن مكسنه كان قد انقطع الى مدح عامل في القطر المصري من النصارى يعرف بأبي ماليح واكثر اشعاره فيه وعندما توفي هذا العامل رثاه بقصيدة اولها قوله :

طويت سماء المكرمات　　وكورت شمس المديح
ماذا أرجى فى حياتي　　بعد موت أبي مليح
ما كان بالنكس الدني　　من الرجال ولا الشحيح
كفر النصارى بعدما　　عقدوا به دين المسيح (١)

وبعد أيام وشهور ولي الأفضل الوزارة وذلك فى عهد الحافظ بأمر الله الفاطمى فأراد الشاعر — ابن مكسنه — أن يتقرب اليه ويتصل به فعمل فى حقه قصائداً ومدحه ولكن الأفضل بن بدر الجمالى لم ينس شعره في أبي مليح ورثائه فيه بعد موته ، فلم يقبل مدايحه حتي يأس الشاعر منه وأرسل له بأبيات يتضرع فيها ويستعطفه على حاله ولكنه بالرغم من كل ذلك أبى ومنها قوله :

مثلي بمصر وانت ملك　　يقال ذا شاعر فقير
عطاؤك الشمس ليس يخفى　　وانما حظى الضرير

ولعل ابن مكسنه كان أحسن حظاً من الشاعر علي بن عباد

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٨

الاسكندرى فقد كان هذا الشاعر منقطعا لمدح الوزير أبي علي بن الأفضل عندما كان هذا الوزير مستبدا بالبلاد وبالخليفة بل حبس الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمى ، حتى بلغ استبداده حداً لايطاق ، واستطاع الحافظ أن يتمكن منه وأن يقتله فى الميدان ، وتتبع كل من كانوا على صلة بهذا الوزير الطاغية فقتلهم ومنهم هذا الشاعر — علي بن عباد — ، ويروي بعض المؤرخين أن هذا الشاعر مدح ابن الفضل بقصيدة مطلعها :

تبسم الدهر لكن بعد تعبيس . . . .

وتعرض فيها بالخلفاء الفاطميين ولاسيما في قوله :

وقد أعاد اليه الله خاتمه فاسترجع الملك من صخر بن ابليس(١)

فكانت هذه القصيدة سبب مقتله ، ويقول ابن ميسر : ان الحافظ أمر باحضار الشاعر فلما امتثل بين يديه قال له : أنشدني قصيدتك فاخذ الشاعر فى انشادها حتى قال منها فى بيت :

. . . . ولا ترضوا عن انجس الناجيس

يعني به الحافظ وآباؤه ، فأمر حينئذ أن يلكمه الغلمان حتى مات بين يديه ، بل كانت هذه القصيدة سببا فى قتل القاضى أبن ميسر سنة ٥٣١ هج فقد روي أن القاضي عندما سمع الشاعر ينشد القصيدة بين يدي إبن الأفضل قام والقى عرضيته طربا ، فلما قتل الوزير صرف القاضي عن عمله وقتل ، وعن هذا الشاعر يقول ابن فضل الله علي بن عباد الاسكندري: شاعر كان يجلو غرر المدائح ، وكانت منن الوزراء تستعطف أعنة قصائده

---

(١) خريدة القصر قسم شعراء مصر ـ ١٠

فيرد عليهم مسردها .

ومن هؤلاء الذين نقم عليهم فنفوا وطردوا من مصر الشاعر الملقب — الناجى المصري — وكان فى بدء أمره من شعراء الأفضل بن بدر الجمالى ، ويعد من شيوخ الأدب في عهد الأفضل الذي كان من ازهى العصور الأدبية التي شاهدتها مصر الاسلاميه ، ومن الشعراء الذين كان الأفضل يجزل العطاء لهم ويجلس اليهم ، ويستمع الى اشعارهم ، ورواياتهم للشعر بيد أن الشاعر — الناجي المصري — لأمور وأسباب هو أعرف بها منا هجا الأفضل اخيراً بقوله :

قل لابن بدر مقال من صدقه　　لاتفرحن بالوزارة الخلقه
إن كنت قد نلتها مراغمة　　فهى على الكلاب «مدكم صدقه

فأمر الأفضل بنفيه الى الواحات فاقام بها عند علم الدولة المقرب ابن ماضي (١) .

والعجب أن المؤرخين ممن عاصروا هؤلاء الشعراء أومن تأخر عنهم لم يفردوا لهم تراجماً خاصة لهم بيد أن توجد من أخبارهم شذرات يسيرة فى كتب لم تصل بأيدينا منها إلا شيء قليل ولكننا اعتمدنا في سرد اخبار هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين نقم عليهم ، ماذكره مؤلف — فى أدب مصر الفاطمية — ص ١٨٨ ـ ١٩٠ من سيرة بسيطة لهؤلاء معتمدا فيها على أهم المصادر والوثائق الخطية الواصله اليه .

ومهما يكن من شيء فان هذه العوامل كانت سبباً فى إنجاء الشعراء

---

(١) ابن خلكان ١ص٢٤٢

نحو الفاطميين في شعرهم وارهابهم بالنفي والقتل والضجر عن مدح ماسواهم من الدول والخلفاء ، حتى كأن الشعراء لم يعرفوا في الحياة من ينبغي مدحهم دون هؤلاء ، ولهذا نرى الشاعر يجهد نفسه في أن يأتي شعره على وفق ميل إمام عصره ويأتي فيه ببعض العقائد الفاطمية ، وأن يلائم بين هذه العقائد والأنماط التي يختارها لشعره ، ثم يوفق بين هذا كله وبين ضروريات الشعر ، فالشاعر كان يتكلف وينفق جهدا كبيرا في انشاد الشعر ، واذا ألقينا نظرة عابرة على الشعر الفاطمي رأينا ان في قصيدة واحدة لشاعر واحد لونين من الشعر ، فالمقدمة التي كان يجعلها الشاعر مقدمة لقصيدته لون وللأبيات التي بها ذكر العقائد لون آخر ، فهو يظهر في المقدمة فن الشاعر وطبيعته وعبقريته ، وتظهر في اللون الثاني الذي به ذكر العقائد صناعة الشاعر وتلاعبه وتكلفه وقد عبر عن هذ النوع من الشعر بعض اساتذة الادب والشعر - بالشعر الرمزي - وكان في العصور الفاطمية يسمي بشعر الصوفية ، فشعر الصوفية هو تطور شعر العقائد الفاطمية ، وكذلك تأويلات الصوفية هو تطور لتأويل الباطن عند الاسماعيلية -١-

وخشية ان يطول بنا الأمر نضرب عنه صفحا ونعود الى تقديم يسير عن تراجم شعراء الدولة الفاطمية الذين نظموا واقعة (الغدير) في أشعارهم وأشادوا بهذه الاثارة الالهية وبحضور من الخليفة ... وسيرى فيه ألوانا من الفن الذي تمثل لنا اخيلة شعراء العصر الفاطمي وإنها صورة

-١- في ادب مصر الفاطمية ، ص ١٦٢ و ٣٠٠ .

منتزعة من الحياة الفاطمية ، وإن توسع الشعراء الفاطميين في استعمال هذه الألوان والمغالات كانت ضرورة اضطرتهم اليها حياة العصر الفاطمي نفسه ولاغرابة من ذلك فان مصر الفاطمية منذ ورود المعز ... لها كانت تمتاز بالغلو في كل شيء فترى غلو الفاطميين فى الدين ، وغلوهم في للهو، وغلوهم فى التزين والتجمل، وغلوهم فى الملبس والمسكن ، وغلوهم فى أعياد فرحهم ، وغلوفى ذكريات مآتمهم ، فظهر هذا الغلو فى فن الشعر ظهوره البالغ فى نواحى الحياة المختلفة ، فاسرف الشعراء فى العصر الفاطمى فى استخدام ألوان الزينة البديعية حتى تلائم اسراف الفاطميين فى حياتهم .

فان الحياة كانت تمد الشعراء بهذه الالوان الحسية عن الزينة ، ليس معنى ذلك ان الشعراء فى غير مصر الفاطمية لم يعرفوا الزينة البديعة وانهم لم يسرفوا فى استخدامها بل كانت الزينة البديعة فى الشعر العربي اقدم عهده من الفاطميين ، وان هذه الزينة عرفها شعراء العراق قبل ان تقوم دولة الفاطميين فى مصر وانما اسرفوا فى استخدام هذه المحسنات البديعة فسبقوا غيرهم فى مضماره وذلك لما فى المصريين من دقة الحس ورقة الشعور وميل الى الفكاهة وخفة الروح .

هـذا واليك تراجم الشعرا الذين نظموا قصة (الغدير) فى قصائدهم مع مراعاة عام وفياتهم .

ابو عبد الله الخصيبي

٣٥٨

إن يوم (الغدير) يوم السرور بيّن الله فيه فضل (الغدير)
وحبا (خم) بالجلالة والتفضـ ـيل والتحفة التي في الحبور
وبالأفضـــال والتزايد بالأ نعـــام فخر يجوز كل الفخور
يوم نادى محمد في جميع الخـ ـلق إذ قال مفصح التخبير
قائلا للجميـع من فوق دوح جمعوه لأمره المقـــدور
أن هذا باريكم فاعلموه إن هذا مصور التصوير
إن هذا الحـكم فاعرفوه ان هذا معبودكم في الدهور
إن هذا ربّ لكم وحدوه قد تعالى عن مشبه ونظير
إن هذا مهيمن صمـــد فر د وهذا خلاق بدء الفطور
وهو الاول القـــديم و الآ خر هو باطن بغـــير ظهور
وهو الظـــاهر الذي لم يغب قط عن العارف العليم الخبير
وهو المحي المميت وهو البا عث والوارث المكرّ الـكرور
وهو الراحم المخـــلد في الجنا ت ملقي عدوه في السعير
وأنا عبده الرسول اليكم بكتـــاب منزل مسطور
قال بلغ عـــنى عبادي فأني أنا مولاهم وخير نصير
فتخوفت منكم ان تضلوا وتتوهوا في غمرة التحيير
فأتتني حماية اية التبـ ـليغ ان بلغا بصوت جهير

ولئن لم تبلغن فما بلـ غت وحى وأنت غير نذير
فكشفت الغطـاء طوعا لدين مظهرا كنه ذاته المستور
وتجلى لـكم لكيما يريكم قدرة القادر العلى الكبير
وسمعتم ماقلت فيه من الحـ ـق فانفرتموا بشر نفور
فصددتم عنه ولم تستجيبوا وتعرضتم لافك وزور
ثم قلتم قـد قال من كنت مولا
ه فهذا مولاه غير نكير (١)

الشاعر

لم يكن هذا الشاعر مصريا ولا وفد اليها وانما هو فاطمى عاش في القرن الرابع في بلاد الشام وجاهددون عقيدته وذب عنها وناضل وبث الرسالة الاسماعيلية فى ربوع الشام ونواحيها الى ان توفى فيها سنة ٣٥٨ من شهر ربيع الاول.

وهو أبو عبد الله الحسين بن على بن الحسين بن حمدان بن الخصيب الخصيبي الجنبلاني كان فقيها شاعرا مجيدا وله مؤلفات وآثار نثرية الى جانب ديوان شعره ومنها كتاب فى أسماء النبي (ص) وأسماء الأئمة والاخوان . المائدة . الى غير ذلك من البحوث العقائدية الاسماعيلية غير ان الفقيه والشاعر هذا قد اهمل مع الأسف كله من قبل المؤرخين والبحاثين ولم يوجد من شعره إلا نتفا يسيرة مبثوثة فى بعض من المعاجم ومنها كتاب : سبيل راحة الأرواح ودليل السرور والأفراح الى فالق الأصباح المعروف

(١) سبيل راحة الأرواح ص ٥٦ .

بمجموع الأعياد تاليف : أبي سعيد ميمون بن القاسم الطبراني النصيري(١).

والقصيدة المذكورة تقع في ٧٠ بيتا واخرها قوله :

ذاك مولى الولاة حقا ولا مو لى سواه فى أول وأخير

ومن شعره أيضا قوله :

تشخص للأنام فشبهوه بأنفسهم ولم يتحققوه .

ولو عرفوا الذي عرفت منه على تحقيقه اتألهوه

ولم يخف عن العقلاء لما أتي بالمعجزات فوحدوه

فاحمد سيدي حمد اكثيرا وأعرف منه مالم يعرفوه

لقد دل الحجاب عليه حتى تجلى للعباد فعاينوه

فلما عاينوه قد تجلي لهم يوم (الغدير) تناكروه«٢»

إن الخصيبي فى التاريخ . . . وان أهمله الكثيرون من البحاثين و لكنه كان كغيره من فقهاء عصره يضربون في كل فن بسهم وافر من الفضيلة والثقافة العامة ، فهو فقيه . . . وهو كاتب . . . وايضا فهو شاعر . . . يتذوق الشعر وينشده وينظم في ركب الشعراء . ويرسل القصائد تلو القصائد في المناسبات المذهبية التي كانت تطل عليهم .

«١» طبع في همبورغ سنه ١٩٤٣ بتحقيق : ر. شتروطمان . في ٢٧١ صحيفة وتوجد نسخة منه في مكتبة العقيد الاستاذ كاظم عبود شريف .

«٢» راحة الأرواح ص ٧٣ .

تميم بن المعز

٣٧٥

جادك الغيث من محلة دار — وثوى فيك كل غاد وسار
حكمت بعد قاطنيك الليالى — في مغانى رباك بالاقفار
ورمتك الخطوب منهم ببين — ورحيل القطين موت الديار

إلى أن يقول :

ليس عباسكم كمثل علي — هل تقاس النجوم بالأقمار
من له الفضل والتقدم فى الاسلام — والناس شيعة الكفار
من له الصهر والمواساة والنصـ — ـرة والحرب ترتمي بالشرار
من دعاه النبي خدنا ، وسماه — أخا في الخفاء والاظهار
من له قال انت مني كهارون — وموسى اكرم به من نجار
ثم يوم (الغدير) ماقد علمتم — خصه دون سائر الحضار
من له قال : لافتى كعلي — لا ولا منصل سوى ذي الفقار
وبمن باهـل النبي أأنتم — جهـلاه بواضح الأخبار
أبعبد الاله (١) أم بحسين — وأخيـه سلالة الأطهار ؟
يابني عمنا ظلمتم وطرتم — عن سبيل الانصاف كل مطار (٢)

الشاعر

---

(١) يريد عبد الله بن عباس .

(٢) ديوان تميم بن المعز ط ص ١٨٥ .

هو الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بن المنصور بالله بن القائم بأمر الله الفاطمي .

ولد سنة ٣٣٧ (١) في مدينة المهدية بتونس ، تلك المدينة التي بناها مؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي واتخذها عاصمة له عام ٣٠٧ ، واستقر بها هو وشيعته وكبار رجال انصاره الى أن بنى المنصور بالله مدينة المنصورية سنة ٣٣٧ وانتقلوا اليها فنشأ المترجم في هذه المدينة وترعرع في ابهة الملك الى أن اتخذ لنفسه عبيداً وداراً في القصر بالمنصورية (٢) وقد كان من رسوم الفاطميين تربية ابناء كبار رجال الدولة والمقربين اليهم في قصر الخلافة مع الامراء من ابنائهم ولكننا لانعرف كيف نشأ تميم ولم نعرف شيئاً كذلك عن اساتذته ومربيه بالرغم مما نعرفه عن شغف الفاطميين بالعلوم وتشجيع العلماء والادباء والشعراء وجمع الكتب النفيسة في كل فن فلا شك ان هذه البيئة الثقافية التي كانت في البلاط الفاطمي كان لها اثرها الخالد في تلوين الشاعر بهذا الاتجاه الفني الذي اتجه اليه .

قدم الامير تميم مصر في الخامسة والعشرين من عمره وسكن القصر الكبير في القاهرة ويخيل الينا ان المعز لدين الله كان شديد الحرص على ألا يعهد الى تميم بأي عمل من الاعمال لعدم ثقته فيه فعندما دخل القرامطة مصر بقصد انتزاعها من الفاطميين سنة ٣٦٣ كان قائد جيش الفاطميين لطرد القرامطه هو الأمير عبد الله (٣) وظل تميم بمعزل عن كل عمل عام بل

---

(١) وفيات الاعيان ا ص ٨ .

(٢) سيرة الاستاذ جوذر ص ١٠٠ (٣) تاريخ مصر لابن ميسر ص ٤٦

اهمل اهمالا شـديدا ويمكن القول : ان انصراف المترجم للعلم والثقافة وتوغله الشديد فيها كان سبباً لاهماله وتركه .

لقد كان تميم يحيا فى مصر حياة لهو وترف ، ووجـد فى البيئة الفاطمية من المتنزهات والديارات ما يوافق هواه ومزاجه فاكثر من الخروج الى المختار بجزيرة الروضة والى دير القصير بالقرب من قصوره ، وشارك المصريين في لهوهم ولا سيما فى ايام الاعياد بعد ان كانت الدولة تحتفل بهاتيك الاعياد مع الشعب فترى الشاعر الامير... فى صفوف الشعراء يلقى من على المنبر قصائده التي صاغها في تلك المناسبة السعيدة .

وقد اتخذ الأمير الشاعر لنفسه عـدداً من الاصدقاء واصطفاهم من بين عشرات الآلاف من أفراد الشعب ومن بينهم نقيب الطالبيين بمصر ابو القاسم احمـد بن محمد بن اسماعيل الرسي بن القاسم بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيـل بن ابراهيم بن حسن بن حسن بن على بن ابيطالب عليه السلام . وكان شاعرا ايضاً من الشعراء المشهورين وتوفى سنة ٣٥٢ وكان ابناه من الشعراء أيضاً . . .

والذي يعرف من ثنايا ديوان الامير تميم المطبوع بالقاهرة عام ١٣٧٧هـ باشراف الاساتذة على عبد العظيم . ومحمد عبد العظيم بدر . وابراهيم عطا فرج . إن المترجم كان على صلة قوية بالرسيين ، ولاشك ان تميما كان على صلة ما بغير الرسيين من شعراء مصر الماجنين أمثال صالح بن رشدين وابن ابي العصام وابن ابي الجوع والروذباري وغيرهم ، فهؤلاء كانوا جميعاً من كتاب

---

(٤) فى ركب الادب الفاطمي . للمؤلف فصل : تميم بن المعز .

وشعراء القصر الفاطمي بالقاهرة .

هكذا عاش المترجم وتمت حياته القصيرة اذتوفي سنة ٢٧٥ وهو نحو الثامنة والثلاثين من عمره ودفن في تربة الزعفران مع آبائه واجداده وخلف ديوانا حافلا بشعره وقصائده التي نظمها في مناسبات مذهبية دينية .

ومما يكن من أمر فقد ترك الخوض في جميع المجالات السياسية وصال وجال في كافة النواحي الأدبية واندمج في ركب الشعراء وسار في موكبهم وشاركهم في المناسبات والأعياد الفاطمية بصورة سافرة ، ونظم فيها قصائد طويلة ، وهنأ الخلفاء وفي رأسهم والده المعز لدين الله . . . واخوه العزيز بالله . . . مع بيان العقيدة الفاطمية في أغلب شعره والاعتزاز بها وبرسالتها الخالدة . . . ومن شعره قوله في مدح الخليفة المعز لدين الله في يوم الغدير ، ويرد فيها على عبد الله بن المعتز في تفضيله العباسيين على العلويين قصيدته التي اولها :

أي ربع لآل هند ودار

جادك الغيث من محلة دار　　　وثوى فيك كل غاد وسار

حكمت بعد قاطنيك الليالى　　　في مغاني رباك بالاقفار

ثم يسترسل الى عد مناقب الامام أمير المؤمنين عليه السلام والتنكيل والوقيعة بالعباسيين ، وذكر مثالبهم ومساويهم الى ان يختمها بالدعوة للفاطميين وعزمهم وسموهم وقوتهم وبطشهم بالعدو فيقول :

لاتغطوا بجيفكم واضـ　　　ـح الحق فيقضي بكم اكل دمار

واصيخوا لوقعة تملأ الأر　　　ض عليكم بجحفل جرار

تحت اعلامه من الفاطميـ ـين اسود تدمي شبا الأظفار (١)

وله ابيات اخرى تدل بوضوح انه كان موضع الاكبار والتقدير لدى رجال الدولة، ومنها ان الخليفة العزيز بالله كان يقلب ثيابا مذهبـــات وغيرها فامر الامير تميم أن يتخير له احسنها للباسه فلما تخير الامير امر بحملها اليه فقال بديهاً :

أنت أهدى الى المكارم والفضـ ـل واندى من الغمام المطير

وابن من بان فضله يوم بـدر واصطفاه النبي (يوم الغدير)

ولك الهمة التي علت النجـ ـم وزادت عليه في التنوير

صانك الله للمكارم والمجـ ـد وابقاك للعلا والحبور (٢)

وهناك فى ثنايا الديوان قصائـــد اخرى للمترجم قالها فى الأعياد والمناسبات الفاطمية وارسلها من على منصة الخطابة على رؤس الاشهاد وتبارى بها الذلك ولي امارة ممالك الشعر ، والقي اليه زمام التصرف في اقطار النظم والنثر وهذا دليل على علو عبقريته وتفننه فى فنون الادب العربي وابواب الشعر .

---

(١) ديوان تميم بن المعز ص ١٨٥ .

(٢) ديوان الامير تميم بن المعز ص ١٧٢ وجاء في الهامش : هو غدير خم : موضع بين مكة والمدينة اثنى عنده النبي ﷺ على علي بن ابي طالب وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه . ويقول الشيعة ان النبي اوصى في هذا اليوم ١٨ ذي الحجة بوصاية علي بن ابى طالب واتخذ الفاطميون يوم الغدير يوم عيد لهم . . .

ويحدثنا إبن الابار في كتابه (١) عن تميم فيقول : كان شاعر اهل بيت العبيديين من غير منازع وهو فيهم كابن المعتز في بني العباس غزارة علم . ونفارت أدب . وحسن تشبيه . وابداع تخيل . وكان يقتفي آثاره ويصوغ على مناحيه في شعره اشعاره وقد ولاه ابوه المعز لدين الله معد بن اسماعيل المنصور عهده وبه كان يكنى ... ثم اعقبه بذكر شيء من شعره في اخيه نزار ، والغزل ، والتشبيه ، وبعد تلك المختارات من شعر تميم نجد ابن الابار يؤكد في آخر ترجمته انه توفي في خلافة أخيه العزيز المتوفى سنة ٣٧٤ بينما توفي العزيز سنة ٣٨٦ .

---

(١) الحلة السيراء ص ٤٣٠ .

أبو حامد الانطاكي

٣٩٩

كتب الحصير إلى السرير ان الفصيل ابن البعير
فلمثلها طرب الأمير الى طباهجة بقير
فلأ منعن حمارتى سنتين من علف الشعير
لاهم الا ان تطير من الهزال مع الطيور
فلأخبرنك قصتي فلقد وقعت على الخبير

إلى إن يقول :

رحلوا وقد خبزوا الفطير ففاتهم أكل الفطير
لا والذي نطق النبي بفضله يوم (الغدير)
ما للامام أبي علي في البرية من نظير (١)

الشاعر

لم يكن ابو حامد بن محمد الانطاكي المعروف بأبي الرقعمق مصريا ولكنه وفد عليها فكان شأنه شأن الشعراء الوافدين لمصر في العصر الفاطمي وذلك لمدح الخلفاء والوزراء ونيل جوائزهم وعطاياهم ، ولكن هذا الشاعر كان يعد في الرعيل الاول من شعراء الفاطمية لجودة شعره ومتانة قريحته ، وقد عرفه صاحب اليتيمة وغالى في حقه ووصفه فقال : نادرة الزمان وجملة الاحسان وممن تصرف بالشعر الجزل في انواع الجد والهزل

يتيمة الدهر . الطبعة الاولى ا ص ٣٢٣ .

واحرز قصب الفضل، وهو أحد المداح المجيدين والفضلاء المحسنين وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ـ .

وفد المترجم له على مصر وأقام بها زمانا غير قليل ومدح الملوك والامراء امثال المعز ابى تميم معد بن المنصور بن القائم الفاطمي، والعزيز بالله، والحاكم بأمر الله، والقائد جوهر، والوزير ابي الفرج بن كلس، وغيرهم من رؤساء الفاطميين، ولقد كان شعر ابي الرقعمق الى الهزل أقرب من الجد فانه أخذ في شعره طريقة عجيبة عرف بها وهي إمعانه وحرصه الشديد في الحماقة والفحش والهزل فى الشعر فانك لم تجد له قصيدة خالية عن هذه الأوصاف، ويندر ان يترك هذه الحماقة في الشعر ويعود الى الجد ولهذا عرف فى التأريخ بالمجون اكثر ماعرف بالجد ولعله كان يعبث بشعره بذكر هذا المزاح وقد لقى في مصر من يشاكله فى هذه الطريقة من الشعراء الماجنين، وله قصائد عدة فى هذا الموضوع منها قوله فى احدى قصائده يذكر التصافع بين الشعراء الماجنين :

خذ في هناتك مما قد عرفت به ... مما به انت معروف ومشهور

واحك العصافير صي صي صي صعصعي

اذا تجاوبن في الصبح العصافير

لاتنكرون حماقاتى لأن بها ... لواء حمقي في الافاق منشور

ولست أبغي بها خلاولا بدلا ... هيهات غيري بترك الحمق معذور

لاعيب في سوى أني اذا طربوا ... وقد حضرت يرى فى الرأس تفجير

والأخدعان فماز الايرى بها ... لكثرة المزح توريم وتحمير

وذا الفعال مع الاعراض مطرد　　صفع ونقع وتيسير وتعسير

فذا وذاك وهذا ثم ذاك وذا　　كذا الليالي لها صفو وتكدير «١»

وغير هذه له ابيات إن دلت على شيء فانما تدل على تضلعه وتوغله في صنوف المجون والهزل والادب ، فالمترجم له في الواقع كان استاذاً لمدرسة مصر في شعر الهزل والمجون وقد سار على نهجه كثير من الشعراء في هذا العصر الذي عاش فيه أبو الرقعمق عاش عدة شعراء مثلوا في مصر جماعة أبي نواس في العراق ، فكان هؤلاء الشعراء يجتمعون وينشدون أشعارهم ويتبارون في النشيد وهم يصفقون ويلهون ، فجماعة كانت تضم صالح بن رشيدين ، وعبد الله بن ابي الجوع ، ومحمد بن الحسن النبي ، والحسن بن محمد الشهواجي ، وصالح بن علي بن مونس ، وابن ابي الزلازل وأبا تميم سليمان بن جعفر ، واحمد بن عبد الله ابن ابي العصام وغيرهم من شعراء المجون في ذلك العصر ، وكانت هذه الجماعة على صفاء احيانا وفي خصام احيانا اخرى وكان اكثر هؤلاء الشعراء يتغزلون في صالح ابن رشدين احد أئمة الكتاب في الديوان وكان شاعر بارعاً جيد المعاني ، ففيه يقول صالح بن مونس :

بك يا صالح أرضي　　عن زماني حين اسخط

فأدم لي الوصل إني　　بك في العالم أغبط «٢»

فهؤلاء الشعراء والمترجم كانوا ندوة تجري بينهم مطاردات شعريه يقصفون ويلهون ويدعوا بعضهم بعضا على الشراب والخمر ،

«١» يتيمه الدهر للثعالبي ـ ا ص ٣٢١ . «٢» نفس المصدر ص ٣٠٧

والقصف والغناء ، ويتهادون الجوارى ، وقد أبق التأريخ لنا شعرا كثيرا لهؤلاء فى هذا الباب .

حضر الشاعر حفلات الفاطمية وأعيادها ، ووصفهم بمدحه وأشاد بذكر الغدير فى قصائده ومدح الخليفة الفاطمى الامام العزيز بالله بقصائد منها قوله :

حى الخيام فأنى ... مغرى بأهل الخيام
بالراميات فؤادي ... بصائبات السهام
لاعذب الله قلبي ... الا بطول الغرامي
ايام وصلى حرام ... والهجر غير حرام
سقيا لدهرى تولى ... بشرتي وغرامي
أسقمتنى وتألين ... لاشفين سقامي «١»

وقال فى مـــدح الوزير أبا الفرج بن كلس ، واعل اكثر الشعراء مدحا لهذا الوزير هو المترجم :

ان يعقوب قد افاد وافنى ... واعاد الندى وأغنى الضعيفا
سل سيفا من البصيرة والراى ... فاغنـــاه ان يسل السيوفا
باذلا للعزيز دون حماه ... مهجة حرة ورأ ياحصيفا
مارأيناه قط الارايئا ... خلقا طاهرا وفعلا شريفــا
ورأينا قرما كـــبيرا هماماً ... منعما مفضلا رحيما رؤفا «٢»

«١» يتيمة الدهر ا ص ٣١٢ .

«٢» يتيمة الدهر ا ص ٢٣٩ .

وقوله ايضا من قصيدة :

لم يدع للعزيز في سائر الأ ... رض عدواً إلا واخمد ناره

فلهذا اجتباه دون سواه ... واصطفاه لنفسه واختاره

لم تشيد له الوزارة مجداً ... لا ولا قيل رفعت مقداره (١)

الى غير هذا من قصائد وابيات ، وفي كلها يذكر الأمام الفاطمي كما وسعه فنه ومواهبه فى الشعر ، فهو لم يستطيع ان يغفل الامام من قصائده وذلك لقوة الامام والخلافة الفاطمية اذ ذاك ، توفى بمصر عام تسع وتسعين وثلثمائة وقد اختلف فى اليوم والشهر الذي مات فيه فقيل كان لثمان بقين من شهر رمضان وقيل فى شهر ربيع الاخر .

---

(١) يتيمة الدهر ا ص ٣١٠ .

٤٩١

ولائك خير ماتحت الضمير ... وانفس ماتمكن في الصدور

وها أنابت أحسن منه نارا ... أمنت بحرها نار السعير

أبا حسن تبين غدر قوم ... لعهد الله من عهد (الغدير)

وقد قام النبي بهم خطيباً ... فدل المؤمنين على الأمير

اشار إليه فيه بكل معنى ... بنوه على مخالفة المشير

فكم من حاضر فيهم بقلب ... يخالفه على ذاك الحضور

طوى يوم (الغدير) لهم حقودا ... أذال بنشرها يوم (الغدير)

فيالك منه يوما جر قوما ... الى يوم عبوس قمطرير

لأمر سولته لهم نفوس ... وغرتهم به دار الغرور

ولست من الكثير فيطمئنوا ... بأن الله يعفو عن كثير (١)

الشاعر

من شعراء القرن الرابع الهجري ونوابغ رجالاته وقد مد له البقاء الى اوليات القرن الخامس، ابو محمد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب الصوري، كان أحد المحسنين المجيدين في الشعر وبديع الألفاظ وحسن المعاني، ورائق الكلام، ومليح النظام، ويعد من محاسن أهل الشام، والأسف أن كلام المؤرخين والمتأدبين عنه قصير جداً، حتى انا لم نجد له ترجمة ضافية تلم كافة نواحي حياته الاجتماعية والادبية مع ان هناك شذرات

(١) ديوان الصوري ص ٧٢ نسخة خطية بمكتبتي.

لا نعتمد عليها ولا تعطينا فكرة صحيحة عنه ، وهذا ربما يرجع الى نفس الشاعر فقد جاء : ان المترجم كان يرجح الانزواء دائماً في حياته الاجتماعية ويميل الى العزلة والانفراد وقلة الخروج من مدينة — صور — الى غيرها من البلدان ، ولهذا قلّ العارفون به والواقفون على احواله وشخصيته .

والذي يظهر من شعر المترجم ان الفقر والاعدام كانا غالبين عليه ، وكان له أخ غني ولكنه كان شديد الجفاء والشقاء له وقد هجاه المترجم عدة مرات بقصائد منها قوله من قصيدة بعد أن زار أخاه في بيته ووقع بينهما مايسوءه ويوجعه :

وأخ مسه نزولي عليه	مثل مامسني من الجزع قرح
بتّ ضيفاً له كما حكم الدهر	وفي حكمه على المرء قبح
فابتداني وقال : وهو من	السكرة والهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت : قال رسو	ل الله والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا ، فقال : وقد قا	ل تمام الحديث صوموا تصحوا (١)

ولم يخرج الشاعر من الديار الشامية طوال حياته الا نادرا ، وذلك في اوائل شبابه إذ خرج الى دمشق وفلسطين ، هذا ويكثر ذكر صيداء ، وطبريه ، والرملة ، في شعره والرملة يومئذ معسكر ينزله قادة الفاطميين ونوابهم ، وقد اتصل بخلفاء الفاطمية وحكامها وامرائها ومدحهم بشعره وتعصب لهم ، ونصر دعوتهم ، وهذا يدل على أن الفاطميين جذبوا كثيرا من أعلام الفنون والأدب والفلسفه .

---

(١) ديوان عبد المحسن الصوري ص ٢١ . — نسخة خطية بمكتبتي —

والصوري في عصره كان يعد من شيوخ الادب فهو شيخ المعري لان المعري عاش بعده ثلاثين عاما ، والتقيا بالشام في مكان ما ولكن لا يعلم انه كان ذلك قبل رحلة المعري الى بغداد ام بعد ذلك ، ومهما يكن من شيء فالعلاقة بين الشاعرين لم تكن وثيقة قبل تلمذه على يديه مع انهما متعاصران ينتميان الى وطن واحد وهو الشام ، وربما كان ذلك لمكان الاختلاف بينهما في الرأي والعقيدة والخلق والمذهب ، ولكن في ديوان المترجم له أبيات تدل صريحة على وقوع الاجتماع بين الشاعرين وكما يعلم أن المجلس الذي ضمهما كان مجلس محاورة اومناضرة بين الرجلين ، اما أين كان اجتماعهما فلم يعلم من ذلك شيء. فقد قال الصوري : أن المعرى وافقه على القول : بالبعث واليقين بالآخرة ، وانه لايميل الى آراء الملاحدة

قال المترجم :

نجا المعري من العار ومن شناعات واخبار

وافقني أمس على انه يقول : بالجنة والنار

وانه لاعاد من بعدها يصبو الى مذهب بكار (١)

وقد مدح المترجم خلفاء عصره من الفاطميين وتأثر بعقائدهم حتى عد من شعراء أهل البيت المهاجرين لما تطفح على شعره وشعوره نزعته

---

(١) ديوان الصوري — ص ٩٦ — نسخة خطية بمكتبتي — وكلمة بكار — في البيت الثالث اظنها تصحيفة وان كانت النسخ الخطية كلها هكذا ، إذلا معنى لها ، والأصح عندي — بشار — وهو اسم الشاعر الاعمى المشهور المعدود من الملاحدة .

الطائفية وتعصبه للبيت النبوي وجاهر في مدح العترة الطاهرة بقصائده منها قوله من قصيدة مطلعها :

عيون منعن الرقاد العيونا ... جعلن لكل فؤاد فنونا

فكن المنى لجميع الورى ... وكن لمن رامهن المنونا

وقلب تقلبه الحادثات ... على ماتشاء شمالا يمينا

يصون هواه عن العالمين ... ومدمعه يستذل المصونا (١)

وقال من قصيدة يمدح بها العزيز بالله الفاطمي واولها :

جفن على شوك القتادة مطبق ... وجوى الى حيث الكنانة يسبق

ويكون كالظن البعيد لعائدي ... كمدى فاينفعك او يتحقق

أيطيق كتمان الصبابة من له ... في كل جارحة لسان ينطق ... ؟

وكأنما دم قلبه من عينه ... نار يطير لها شرار محرق

وكأن وجنته حنية عاكف ... والدمع قنديل عليه معلق (٢)

وقال في يوم عاشوراء يمدح بها الامام الحاكم بأمر الله الفاطمي ومطلعها:

خلا طرفه بالسقم دوني يلازمه ... الى أن رمى سهما فصرت اساهمه

فأصبح بي ماست ادرى أمثله ... بجفنية ام لا يعدل السقم قاسمه (٣)

توفي الصوري يوم الأحد تاسع شوال عام ٤١٩ وخلفه على شاعريته الفذة وادبه ولده عبد المنعم الصوري .

---

(١) نفس المصدر السابق — ص ٢٢١ .

(٢) ديوان الصوري ص ١٣٤ — نسخه خطية بمكتبتي — .

(٣) ديوان الشاعر نسخة خطية بمكتبتي .

محمد الصوري

٤٤١

ثم رقا علوّه الى الجبل   لماله خير النبيين حمل
فخطه وصار بالاقدام   يداس طول الدهر والايام
واسلم الناس على ضروب   واختلط الصادق بالكذوب
وكلهم جاءوه لما سلموا   واستلموا الأمر وسلموا
وبعد ذا وقائع مذكورة
معروفة بين الورى مشهورة
فأنزل الله على نبيه   ان يظهر النص على وصيه
فخاف من اصحابه لعلمه   بكيدهم وما نووا من ظلمه
وقيل لا تشرك فان اشركت   ليحبطن الله كل ما عملت
فقم وبلغ لا تخف فرحمتي تما   لك اليوم وكن في عصمتي
فقام في يوم (غدير خم)   وقال : حكم الله غير حكم
من كنت مولاه فذا مولاه   فوالي يا ربي الذي والاه
فمن له والى فقد والاك   حقا ومن عاداه قد عاداك
يارب قد بلغت ما أمرتني   فاشهد وعجل ما به امرتني (١)

الشاعر

هو الداعي الاسماعيلي الاجـــل ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد

---

(١) العقيدة الصورية ط ص ٦٥ .

ابو عبد الله الصوري الحافظ (١) ، ولد بصور سنة ست وسبعين وثلثمائة ونشأ بها وهي السنة الحادية عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر ، وأخذ فى طلب الحديث بعد ماكبر وأسن ورحل فى طلبه الى الآفاق والامصار الاسلامية وكتب الكثير وصنف وانتهى به المطاف الى مصر ، فلازم مجلس الحافظ عبد الغنى المصري (٢)وكتب تقريراته ومحاضره وشيئاً من تصانيفه وقرء عليه ماكان قد وجده وحرره قبل ان يجتمع بالحافظ عبد الغنى ، وعنده توصل الى العقيدة الفاطمية ، واتصل بالابلاط شيئاً فشيئا وزادت وشائج الحب والعلاقة بينه وبين قادة الركب الأدبي الفاطمي بعد ان لوحظ فيه التفوق والنبوغ الشعري الى جانب مكانته العلمية واطلاعه الواسع في الحديث والفقه .

لقد حبب الى نفسه الولاء الفاطمي وآمن واعتنق ودافع وهاجر بدعوتهم لاعتباره جزءاً من عقيدته ، وبعد ان توفى شيخه سنة ٤٠٩ رحل وواصل سيره في طلب الحديث وخرج من مصر وهو على غير النهج الذى دخله فكله مشرب بالايمان والحب للفاطميين ولم يفتأ لسانه يلهج بهم وعاد الى مسقط رأسه — صور — فمكث بها ردحاً من الزمن ووضع فيها عدة

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١١ ص ٦٠ .

(٢) عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبــد العزيز بن مروان الازدي المصري . . . محدث . حافظ . نسابة . ولد في سنة ٣٣٢ ورحل الى الشام وسمع الكثير وانتفع به خلق كثير وتوفي بمصر سنة ٤٠٩ له تصانيف كثيرة .

قصائد ومنظومات تناول فيها شرح عقائد الفاطميين وبيان أهدافهم ونظمهم الدينية والاجتماعية والحربية واخير احتفالاتهم واعيادهم المذهبية .

ثم رحل الى بغداد سنة ٤١٨ ومكث بها الى ان توفى سنة ٤٤١ وكان سبب موته انه افتصد فورمت يده وعلى ماذكر ان ريشة الفاصد كانت مسمومة لغيره فغلط ففصده بها فكانت فيها منيته .

وقد ترجم له اصحاب المعاجم والسير وذكره بالثناء والتعظيم وانه كان اماما صحيح النقل دقيق الخط صائماً قائماً لايفطر إلا في العيدين وايام التشريق ، وكان حسن المحاضرة (١) وانه كان من احرص الناس على الحديث واكثر كتبا له واحسنهم معرفة به ولم يقدم بغداد من الغرباء الذين لقيتهم افهم منه بعلم الحديث (٢) وقال ابو الحسين بن الطيوري (٣) مارأيت احفظ من الصوري وكان بفردعين وكان متفننا يعرف من كل علم ، وقوله حجة وعنه اخذ الخطيب (البغدادي) علم الحديث وله شعر رائق (٤) الى غير هذه من الكلمات التي ان

---

(١) النجوم الزاهرة ٥ ص ٤٨ .

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ٣ ص ١٠٣ .

(٤) شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ٣ ص ٢٦٧ .

(٣) ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد بن عبد الله البغدادي الصيرفي . شيخ مشهور مكثر ثقة ولد سنة ٤١١ وتوفى عام ٥٠٠ واثنى عليه أئمة الحديث وانه محدث كبير مفيد ورع رافق الصوري واستفاد منه .

دلت على شيء فانها تدل على علمه الجم وغزارة نبوغه الأدبي وتفوقه العام في الحديث .

لقد صنف المترجم قصائد كثيرة ، ورسائل عديدة أشهرهم : التحفة الزاهرة ـ و ـ نفحات الأئمة ـ ونظراً لأن صناعة الأراجيز في العهود الفاطمية شاعت واستعملت الدعاية وللتعبير عن المواضيع الفلسفية والتعاليم العقائدية فقد نظم الشاعر قصيدته الصورية . . . وبحق جاءت تحفة نادرة ذات ترتيب بديع لا يختلف عن ترتيب الدعاة الاسماعيلية الكبار ، ففيها الا فتتاحية بالحمد والثناء ، ثم التجريد والتنزيه ، والتوحيد ، ثم التفريق بين الأحد والواحد ، وحدوث العالم والدهر ، والرد على الثنوية والثالوثية ونكران حججهم ، وبعد ذلك ينتقل الصوري فيعدد لنا مراتب الحدود العلوية واسمائها وافعالها وتأثيراتها ومطلعها قوله :

الحمد لله معلّ العلل	ومبدع العقل القديم الأزلي
أبدعه بأمره العظيم	بلا مثال كان في القديم
وصير الاشياء في هويته	مجموعة بأسرها في قدرته
فهو لها أصل كريم يجمع	فمنه تبدو واليه ترجع
سبحانه من مالك ديان	ألعقل والنفس له عبدان
جل عن الادراك في الضمائر	والوصف بالاعراض والجواهر

وبعد ذكره لبحوث عقائدية على ضوء الجدل والمناقشة فيذكر الامام امير المؤمنين عليه السلام ويعد مناقبه ومواقفه في الحروب ثم يأتي على ذكر واقعة . . . غدير خم . . . فيقول :

ثم رقا علوه إلى الجبل   لما له خير النبيين حمل

والقصيدة تقع فى ٩٣٧ بيتا على النهج المذكور ، ويختمها بالدعاء للخلفاء الفاطميين وتنتهي بالأبيات التالية :

وصلي يارب على المختار   محمد المخصوص بالأنوار

وآله الأطهار سادات الورى   من نسل مولانا الامام حيدرا

صلى عليه ربنا وسلما   ماغربت شمس وليل اظلما

قام بطبعها المعهد الفرنسي بدمشق فى سنة ١٩٥٥ وتقع فى ٧٤ صحيفة بتحقيق وتقديم الاستاذ العلامة عارف تامر . وهناك فى معاجم السير اختلاف في المكان الذي توفي فيه .

المؤيد داعى الدعاة

٤٧٠

قال والرحل للسرى محمول ... حق منك الـوى وجد الرحيل
وعدا الهزل في القطيعة جدا ... ما كذا كان منك لي المأمول

إلى ان يقول :

لو أرادوا حقيقة الدين كانوا ... تبعا للذي أقام الرسول
وأتت فيه آية النص بلغ ... يوم (خم) لما أتى جبريل
ذاكم المرتضى علي بحق ... فبعلياه ينطق التنزيل
ذاك برهان ربه في البرايا ... ذاك فى الأرض سيفه المسلول
فأطيعوا جهدا اولى الأمر منهم ... فلهم فى الخلائق التفضيل
اهل بيت عليهم نزل الذ ... كر وفيه التحريم والتحليل
هم امان من العمى وصراط ... مستقيم لنا وظل ظليل
هاكم منهم بعصر إماما ... هو بالنفي للشكوك كفيل «١»

الشاعر

ابو نصر هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي ، ولد بشيراز فى سنة لم يحددها لنا التاريخ ولم يحدثنا هو عنها ، والذي يعرف من أبيات له انه ولد حوالى عام تسعين وثلثمائة من الهجرة ونشأ بها واصبح يدعو فى جزيرة فارس للفاطمية وفى عام تسع وعشرين صار اليه أمر المذهب الفاطمي في شيراز

(١) ديوان المؤيد ص ٢١٥ — ٢١٨ .

فكان زعيما لهذا المذهب وشيخه فى فارس ولـكن المؤيد قاسى ماقاسى من العناء والشقاء ومرت عليه ايام بؤس والم ذاق فيها الوان الذلة والمسكنة حتى انه اضطر اخيرا الى ان يسافروان يصاحب قوما لا يضمرون له غير الحب والاخلاص ، والسبب في ذلك يرجع الى مذهبه الذي كان يخالف مذهب أهل بلدته ، فقد كان المؤيد يحتفل بالأيام والاعياد الفاطمية ويصلي بالناس ويعظهم كعادته ولـكن الوزير العادل بهرام بن ماقيا بن شهد ، إستدعاه يوما ونصحه بالخروج من البلاد وتركه لأن السلطان توعد المؤيد بالقتل وأن علماء المدينة استعدوا عليه وان يستخير الله في الخروج من البلاد وانه يضم اليه عدة من الفرسان من يتدرقون بك الى حيث توخى قصده من البلدان -١- وخرج من عنده وهو يفكر الى أين يقصد وان الطرق قد اكتظت بأعدائه ، وبات ليلته يفكر ولـكنه لم يهتد الى ناحية ، وفي الصباح قصد الوزير وقال له : انه ليفضل ان يقتل في شيراز او يخرج منها قسرا مكبلا بالقيود والاغلال ، ولـكن الوزير اجله ايضاً اياما ليعاود بيته ويحصل على نفقات سفره فيخرج خفية حتى لايشعر بخروجه احد ، وبعد ايام حرج مع صحبه الى - سبار - وهو موضع على اربع مراحل من شيراز ، واخذ يبني هناك مشهداً للشيعة إذ لم يكن بها مبان للشيعة قبل ذلك ، وكان أهلها من السنة ، وقد اجتهد معه الديلم في بناء هذا المسجد فقالت العامة ان هذا الرجل ساحر قد سخر هولاء الجبابرة كما سخر سليمان الجن (٢) .

---

(١) السيرة المؤيدية ص ٧ .

(٢) سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ص ٢١ .

وبعد مدة قويت اعداء المؤيد واكثروا فى الطعن عليه فخرج منه هاربا وتوجه الى الأهواز واحتوى طريقا لا نعلمه على مسجد مهدم كانت تأويه الصوفية وأهل النصب ، فعكف على تجديد عمارته وكتب على دوّر محرابه أسماء النبي ، وعلى ، والحسن ، والحسين ، فصاعدا الى جعفر بن محمد واسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن اسماعيل ، ووصلها باسماء الخلفاء الفاطميين من المهدي عبيدالله الى المستنصر ، بالمذهب على الواح ساج ثم لم يكتف بذلك حتى أقام الأذان – بحى على خير العمل – وفوق ذلك كله طلب ممن حضره أن يقيموا صلوات الجمعة مشفوعة بالخطبة للمستنصر الفاطمى صاحب مصر (١) وقد أشار الى اعماله هذه فى قصائده مفتخرا منها قوله :

لي فيك صنع لم ينـــل قبلي بمجهد جاهـــد
سل بقعة الأهواز عن فعلي بحيك ممـاهـــد (٢)

وقد كثر اتباعه وشيعته فى الأهواز ثم توجه منها الى الموصل ، والكوفة ، والأنبار فتراءى ان يذهب لزيارة قبر الامام علي بن أبي طالب وقــبر الحسين بن على ثم يواصل سيره الى الموصل ومنها الى مصر وعقب وصوله أدخل توا الى مقر الخلافة وتمكن من المثول بين يدي الخليفة المستنصر ، ووصف مقابلتة معه فى سيرته التى الفها لنفسه ، وبعد ردح من الزمن ولي المؤيد دار الانشاء وزيد فى رزقه وتحسنت حالته ،

---

(١) نفس المصدر السابق – ص ٥٥ .

(٢) ديوان المؤيد ص ٢٨٤ .

ولقبه الخليفة بالحجة ، وهي اسمى مرتبة في الدعوة الفاطمية ، وعمل على إيجاد واحداث مؤامرات ضد العباسيين وقلب نظام حكمهم في بغداد وفارس والشام ، وعلت مرتبته بعد أن عاد الى مصر ثانية ونال اقصى ماي:مناه من الترقى فى درجات الدعوة الفاطمية .

وفد المؤيد على مصر وأقام بها ثلاثين عاما ، واستمع له جمهرة من المصريين أخذوا عنه علوم الدعوة فأثر فى الحياة العقلية المصرية بمبادئه التي كان ينادي بها ، وفي مصر أخذ عنه لمك بن مالك قاضي الصليحيين باليمن ، فنقلت عن مصر علوم الدعوة الفاطمية الى اليمن وأصبح اليمنيون يدينون للمؤيد بالاستاذية فى علوم الدعوة ، وفى مصر أنشد المؤيد اكثر قصائد ديوانه وألقى مجالسه التي بلغت الثمانمائة مجلس وهو كتاب خاص بمصر والدعوه الفاطمية (١) ونال الحظوة عنه الفاطميين حتى انه كما قلنا كان أيام الحاكم الفاطمي ، حجة في الدعوة فى إقليم فارس اذ نشأ المويد في اسرة اتخذت العقيدة الفاطمية منذ أمد بعيد مذهبا لها ، فترعرع وهو ملم بكل شيء يحضر الدعوة واسرارها ، وما لبث ان أصبح بعد موت والده يملك نفوس أتباعه فانقادوا له الانقياد كله وكانوا يضحون بأرواحهم دونه وكثر اتباعه حتى خشى السلطان ابو كاليجار البويهي سطوته ونفوذه وهم ان ينفيه مرارا من شيراز ، ولكنه كان يخاف ثورة اتباع المؤيد فكث يجهر بالدعوة في كل مكان وكل بلد يدين للعباسيين ، وقد كان من جراء ذلك ان بعث قاضي الأهواز برسالة الى الخليفة العباسي

---

(١) يعرف بالمجالس المؤيدية . . . ومازال مخطوطا .

ببغداد يمنى فيها الدولة العباسية وضياع خلافتها على يد المؤيد (١) .

ومهما يكن من امر فقد استقر المؤيد بمصر واتصل بامرائها ورجالها وحضر مجالس الدعوة فيها وراسل بعضا من الملوك وعاهدهم في أن يحاربوا كل مامن شأنه النيل فى الدولة الفاطمية ، وقام بنفسه في حفظ ممتلكات الفاطميين .

لقد كان المؤيد على جانب عظيم من الثقافة ملما ألماما تاما بجميع العلوم التي عرفت في العالم الاسلامي يوم ذاك ، وقد وضع رسالة وهى اقدم كتاب تأريخي يفصل لنا حياه المؤيد السياسية والاجتماعية والعلمية في فارس والعراق ومصر خلال ربع قرن وجاهد وناضل دون الفاطميين ورد على المذاهب المختلفة طورا با لكتابة وطورا بالشعر وتارة بالمناظرات الشفوية ، يفكر في اقوال خصومه فيحللها تحليلا دقيقا حتى ليعرف مواطن ضعفهم كي يهاجمهم ويفند ارائهم .

ابث المؤيد في مصر ثلاثين عاما وحضر حفلات الفاطمية واعيادهم ومدح خلفائهم وعاصر كثيرآمن امرائها وشعرائهاونظم فيهم وادمج عقائدهم في شعره حتى كاد شعر المؤيد يكون ديوان شعر للعقايد الفاطمية ، وذكر فى مصر واقعة الغدير شعرا ونثرا حتى انه افرد فى هذا الموضوع كتابا بعنوان — الايضاح والتبصير فى فضل يوم الغدير — واشاد بواقعة غدير خم فى عدة قصائد منها .

قال والرحل للسرى محمول حق منك النوى وجدالرحيل

---

(١) فى أدب مصر الفاطمية : ص ٦١ .

وقوله من قصيد مطلعها :

نسيم الصبا ألمــم بفارس غاديا

وابلغ سلامي أهل ودي الأزاكيا

وزر بقعة الأهواز عني محييا بهاغر اخواني وارجان تاليا

الى أن يقول :

هي القبة البيضاء قبة (حيدر) وصي الذي قد أرسل الله هاديا

وصي النبي المصطفي وابن عمه

ومن قام مولى في (الغدير) وواليا (١)

وقال من قصيدة يمدح بها المستنصر بالله الفاطمي واولها :

الله ينصر راية المستنصر بالله مولانا الأمام الاطهر

ويتم نور ابي تميم خاليا بسناه اغساق الظلام الاكدر

ويديم دولتـــه ويجبر كسرنا

في ـ الظاهر ـ الغصن الرطيب الأخضر

السيد المولى الموالي في الثرى غض الشباب بنور وجه اقمر

غصن من القلم المد وصنوه ومن النبي الابطحي وحيدر (٢)

ومدح الظاهر الفاطمي بقصيدة اولها قوله :

قد عز دين الله بالظاهر مولى الأنام الباطن الظاهر

نجل الأمام الحاكم المجتبي وابن الأمام الطيب الظاهر

---

(١) ديوان المؤيد ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧.

(٢) ديوان المؤيد داعي الدعاة ـ ص ٢٢١ .

شمس الضحى بحر النهى والحجا
شمس بـدت من قمر زاهر
اشرقت الأرض بأنوارها واصبحت ميمونة الطائر (١)

وقال فى الامام المستنصر بالله ايضا :

اقسم لوانك توجتـــني بتاج كسرى ملك المشرق
وتلتنى كل امور الورى من قد مضى منهم ومن قد بقي
وقلت ان لانلتقى ساعـــة أجبت يامولاى ان نلتقي
لان إبعادك لي ساعـــة شيب فودي مع المفرق (٢)

وهكذا عاش المترجم وقلبه مفطوم على حب الفاطميين الى ان توفى عام ٤٧٠ بالقاهرة ودفن فى دار العلم بجوار القصر وصلى عليه الامام الفاطمي المستنصر نفسه (٣)

---

(١) نفس المصدر ـ ص ٢٤٩ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠ ص٣١٣ ٠ وفى ركب الادب الفاطمى فصل المستنصر ٠٠٠

(٣) افرد الدكتور محمد كامل حسين دراسة وافيـــة عن حياة الشاعر فطبعت في اول ديوانه عام ١٩٤٩ وتقع فى ١٧٠ صحيفة ٠ وقـد ترجم الشاعر ايضا نفسه فوضع كتابا تناول حياته منذ سنة ٤٢٩ الى سنة ٤٥٠ وهو من سلسلة مخطوطات الفاطميين ومطبوعات دار الكاتب المصري ٠

ابن جبير المصري

القرن الخامس

يادار غادرني جديد بلاك	رث الجديد فهل رثيت لذاك
أم أنت عما اشتكيه من الهوى	عجماء مذ جهم البلى مغناك
ضفناك نستقري النجوم فلم نجد	إلا تباريح الهموم قراك

إلى ان قال :

لقد اجتريت على اجترح عظيمة	جعلت جهنم في غد مثواك
ولقد شققت عصا النبي محمد	وعققت من بعد النبي اباك
وغدرت بالعهد المؤكد عقده	يوم (الغدير) له فما عذراك
فلتعلمن وقد رجعت به على	الاعقاب ناكصة به على عقباك
أعن الوصي عدلت عادلت به	من لا يساوي منه شسع شراك
ولتسألن عن الولاء لحيدر	وهو النعيم شقاك عنه ثناك
قست المحيط بكل علم مشكل	وعر مسالكه على السلاك (١)

الشاعر

شرف الدولة ابو محمد يحي بن جبير المصري ، كان احد شعراء مصر الذين مدحوا الخلافة الفاطمية ، ولد بمصر ونشأ بها وترعرع فاصبح من الشعراء الذين اتخذتهم الدولة في تثبيت اركانها ، وقد اتى في شعره من قوة المتانة والشاعرية ماجعله واحد شعراء الفاطمية الذين يجب عليهم

(١) الغدير ٤ ص ٣١٣ — ٣١٧ والقصيدة ١٠٢ بيتا .

الحضور في حفلاتها واعيادها ومواسمها لانشاد الشعر ، وكان ذلك في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله المولود عام ٤٢٠ والمتوفى ٤٨٧ ، فقد قطع اشواطا في حياته من عهود الفاطميين ولكنه اوقف مدحه في المستنصر فلا نكاد نجد له شعرا يمدح به غيره .

وان شعر المترجم ليعطينا فكرة صحيحة عن قائله وهي ان المترجم كان متأثرا بالعقائد الفاطمية تأثيرا بالغا ، كيف وقد فتحت عيناه على الدولة الفاطمية ولم تسمع اذناه سوى عقائدهم وذم من يخالفهم فى الرأي والعقيدة ولم يتردد على محفل ومجلس إلا والكل يشيد بذكرهم فكأنه نشأ وكله مفطور على حب الفاطميين ، فمدح الخليفة ومدح كل وزير اوامير قام بالذب عنهم ومن شعره فى عيد الغدير قصيدة تربو على مائة واثنين بيتا اتى بها على ذكر الغدير واشاد بفضلها ومطلعها :

يادار غادرني جديد بلاك   رث الجديد فهل رثيت لذاك

وقال يمدح الامام الفاطمى وذلك فى يوم فتح الخليج وهو من المناسبات الفاطمية وكان صاحب الباب يستأذن على حضور الشعراء للخدمة فيؤمر بتقديم واحد بعد واحد ، وكانت لهم منازل على مقدار كفاءتهم الأدبية فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد فدخل ابن جبير وانشد :

فتح الخليج فسال منه الماء   وعلت عليه الراية البيضاء
فصفت موارده لنا فكأنه   كف الامام فعرفها الاعطاء (١)

ومن الطريف ان المؤرخين يذكرون ان المصريين بلغوا في ذلك

---

(١) في أدب مصر الفاطميه ص ١٦٧ .

الوقت درجة كبيرة من دقة الحس وتذوق الشعر فانهم لما سمعوا هـذه الأبيات انتقدوه في قوله : فسال منه الماْ وقالوا : اي شيء يخرج من البحر غير الماء ، وان الشاعر اضاع ماقاله بعد ذلك المطلع (١) .

ومدح الملك الصالح طلايـع بن رزيك عند ما اضطربت امور مصر فولاها وارسل الجيوش المصرية لمحاربة الفرنج فكان ينتصر حينا وينهزم حيناً آخر ، وقـد سجل الشعراء تلك الانتصارات ومنهم المترجم فقال في إحدى المعارك التي خاضها ابن رزيك ضد الفرنج :

أطفى ابن رزيك لهيب ظرامه والبيض تخطب في الرءوس فتسمع

وكتائب للشرك كنت ازاءها متعرضاً فانفض ذاك المجمـع

ولكم صرعت من الفرنج سميدعا بلقائه لك قيل أنت سميدع (٢)

ومما يؤسف له ان شأن هذا الشاعر في التاريخ كان كشأن اكثر زملائه من شعراء الفاطمية إذ كان حظه النسيان والاهمال ولذا لم نقف لـه على ترجمة وافية ولا على عام ولادته ووفاته وانما جاء ذكره مقروناً بأبيات قالها عند فتـح الخليج وفضلا على هذا نرى ان هناك من المؤرخين من لايعرف عنه حتى اسمه ونصبه فجاء ذكره فى المعاجم مختصرا بجملة ـ ابن جبر المصري ـ وهذا راجع الى ضياع تراث تاريخ مصر الاسلامية وشعرائها.

---

(٢) الخطط للمقريزي ٢ ص ٣٦٥ .

(١) الخطط — ٢ ص ٣٦٠ — في ادب مصر الفاطمية ٢٣٠ .

ابن قادوس

٥٥١

يا سيد الخلفاء طرا — بـدوهم والحضر
ان عظموا ساقي الحجيج (١)
فأنت ساقي الـكوثر
انت الامام المرتضى — وشفيعنا في المحشر
وولي خيرة احمد — وأبو شبير وشبر
والحائز القصبات في — يوم (الغدير) الأزهر
والمطفيء الغوغا ببد — ر والنضير وخيبر (٢)

الشاعر

القاضي المفضل كافي الكفات أبو الفتح محمد بن القاضي الموفق إسماعيل بن احمد الدمياطي المعروف بابن قادوس.

كان ابن قادوس على جانب عظيم من فن الكتابة والأدب وأحد من صيارفة البيان في عهد الامام الفاطمي العاضد، كاتب وشاعر في ديوان الانشاء ومن اقدر كتاب مصر الفاطمية وشعرائها شاهد عصر الأفضل بن بدر الجمالي وامتدت به الحياة الى ان توفي في عهد الملك الصالح طلائع ابن رزيك، فقد عاصر شعراء مصر وكتابها في النصف الأول من القرن السادس، وعرف اتجاهاتهم الفنية في الشعر والكتابة فجمع بين فضيلتي

(١) المراد به العباس بن عبد المطلب.

(٢) اعيان الشيعة ٤٧ ص ١٦٣.